مجتمع قضاة المدينة أبان العصر الأموى

إعداد

د/على حسن أحمد حسن شعيب

مجتمع قضاة المدينة أبان العصر الأموى

إعداد
د/على حسن أحمد حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

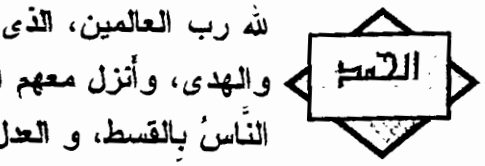

لله رب العالمين، الذى أرسل رسله بالبينات والهدى، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم النَّاسُ بِالقسط، و العدل، والصلاة و السلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله و صحبه وسلم.

وبعد.

فلقد أرسى الإسلام القواعد والأسس التى تنظم العلاقات والتعامل بين أفراد الأمة الإسلامية، كما وضع لها التشريعات والقوانين التى تستند إليها فى حسم أى خلاف ينشب بين أفرادها، أو بينهم وبين غيرهم من الأمم والجماعات، ومن ثم كان منصب القضاء، من أسمى المناصب، لأن الله -سبحانه وتعالى- جعل إليهم الحكم فى الدماء، والأبضاع، والأموال، و الحلال و الحرام، وذلك منصب الأنبياء، ومن بعدهم الخلفاء.

ولذلك حظى القضاء باهتمام خلفاء بنى أمية الذين حرصوا على تعيين القضاة نيابة عنهم فى الأمصار الإسلامية، ومن بينها المدينة المنورة، والتى صارت داراً للإمارة بعد أن كانت مقراً للخلافة، فكيف كان يتم اختيار هؤلاء القضاة ؟ وماهى الشروط التى يجب توافرها فيهم؟ ومن الذى تقع عليه مسؤلية اختيار هم؟ وما السلطات المكفولة إليهم؟ وما هى مصادرهم فى الأحكام التى يصدرونها؟ وأخيراً: ما هى مكانتهم الاجتماعية؟ و علاقاتهم بفئات

المجتمع؟ ورغبة فى الإجابة على تلك الأسئلة وكان اختيارى لهذا الموضوع ، و الذى جاء تحت عنوان: "**مجتمع قضاة المدينة أبان العصر الأموى**" .

وقد قسمت هذا البحث بعد المقدمة إلى تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع. ففى المقدمة: تحدثت عن أهمية الموضوع، وفى التمهيد: تناولت تعريف القضاء، ومكانته فى الإسلام، وأول قاضٍ للمدينة فيه، موضحاً كيف تم ترسيخ أسس القضاء فى عهد رسول الله -ﷺ-؟، والخلفاء الراشدين من بعده؟.

وأما الفصل الأول: فكان بعنوان:"**اختيار القضاة**"، وتناولت فيه الحديث عن الشروط الواجب توافرها فى القضاة، وكيفية تعيينهم، ثم ذكرت الأسر التى اشتهر أفرادها بتولى هذا المنصب الجليل، بالإضافة إلى بيان اختصاص القاضى، ورزقه، وكيفية عزله عن منصبه؟.

فى حين تناول الفصل الثانى: وعنوانه:"**مجلس القضاء**"، مقر المجلس، ومعاونو القاضى، ومصادر أحكامه، وما ينبغى أن يتحلى به من آداب فى مجلسه، بالإضافة إلى ذكر بعض الأقضية التى نظرها هؤلاء القضاة.

بينما تناول الفصل الثالث: والذى جاء تحت عنوان: "**مكانة القضاة و هيئتهم وعبادتهم**"، الحديث عن الوظائف التى تولها القضاة، بالإضافة إلى هيبة القضاة وهيئتهم، وآرائهم فى المجتمع، وأخيراً: بيان مكانة العبادة فى حياتهم.

وأما الفصل الرابع والأخير: فقد كان بعنوان: "**علاقة القضاة بفئات المجتمع**" ،وتناولت فيه، علاقتهم بالخلفاء، والأمراء، فضلاً عن

علاقة القضاة ببعضهم، بالإضافة إلى العلماء وطلب العلم، والشعراء، والعامة، وأخيراً: علاقتهم بأبنائهم وأهليهم.

وفى الخاتمة ذكرت أهم النتائج التى توصل إليها هذا البحث ، ثم زيلت ذلك بقائمة المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها.

وبعد فإن كنت وفقت إلى ما قصدت فالفضل لله سبحانه وتعالى وحده، وأن كنت قد قصرت، فحسبى أننى بشر،أخطى وأصيب، فألتمس العفو و الصفح الجميل، والإرشاد إلى مواطن القصور، وإصلاح الخلل﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[1].

إعداد

الدكتور/ على حسن أحمد شعيب

(١) سورة الكهف:الآية ١٠.

تمـهيـــد

لفظ القضاء يأتي في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكلُ ما أُحكِم عمله، أو أُتِمَّ، أو خُتِمَ، أو أُدِّيَ أداء، أو أُوجِبَ، أو أُعلِمَ، أو أُنفِذَ، أو أُمضِيَ، فقد قُضِيَ، وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الحديث[1] ، يقال: قضى الحاكم إذا فصل في الحكم: وقضى دينه أي قطع ما لغريمه قبله بالأداء؛وقضيت الشيء أحكمت عمله؛ ومنه قوله تعالى:﴿ إِذَا قَضَى أَمْرًا ﴾[2] أي أحكمه وأنفذه[3].

وأما فى الاصطلاح: فهو" منصب الفصل بين النـــاس فـــي الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة. فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجاً في عمومها"[4]، وعرف بعض الباحثين[5] القضاء:"بأنه قول ملـــزم يصدر عن ولاية عامة"، أى أنه الحكم والإلزام[6].

---

(١) الرازى: مختار الصحاح، مادة:(ق ض ى) تحقيـــق/ محمـــود خاطر، دار الحديث، القـــاهرة، (د.ت)، ابـــن منظـــور: لســـان العرب، مادة:(ق ض ى) تحقيق/ عبد الله على الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة (د.ت).

(٢) سورة مريم:الآية٣٥.

(٣) المالقى: تأريخ قضاة الأندلس ص٢، تحقيق/ لجنة إحياء التراث العربى، منشورات دار الآفاق، بيروت، سنة١٤٠٠هـــ.

(٤) ابن خلدون: المقدمة ج٢ص٦٢٧، تحقيق د/على عبد الواحـــد وافى، ط/٣، دار نهضة مصر، القاهرةسنة١٩٨١م.

(٥) محمود محمد عرنوس: تاريخ القضاء فى الإسلام ص ٩. مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة (د.ت)، د/أحمد شـــلبى: موســـوعة الحضارة الإســـلامية ج٤ ص٢٥٧، ط/٤، مكتبـــة النهضـــة المصرية، القاهرة، سنة١٩٨٩م.

(٦) أنور العمروسى: التشريع والقضـــاء فـــى الإســـلام ص٥٦. مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، سنة١٩٨٤م.

والقضاء ولاية جليلة القدر عظيمة الشأن، تتلو مرتبة النبوة، فقد خلق الله تعالى الخلق، وكلفهم الأخذ بالشرائع، وابتعث رسله عليهم قضاة ليحكموا بينهم[1]، فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[2]، وها هو نبى الله داود - ﷺ - ، يخاطبه ربنا بقوله: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[3]، وقال تبارك فى علاه للنبى المختار - ﷺ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[4]، وجعل قبول حكمه - ﷺ - دليلاً على الأيمان، ورده برهاناً على الكفر والعصيان، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[5].

كذلك جاءت فى السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة تبين فضل القضاة ، ومكانتهم الرفيعة فى الإسلام ، وما لهم من جزاء عظيم عند الله إذا هم التزموا بالحق و العدل ، وعدم أتباع الهوى فى الحكم منها قوله - ﷺ - :"القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في

(١) ابن أبى الدم: كتاب أدب القضاء ص١٩، تحقيق/محمد عبدالقادر، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤٠٧هـ.
(٢) سورة الحديد:الآية٢٥.
(٣) سورة ص:الآية٢٦.
(٤) سورة النساء:الآية١٠٥.
(٥) سورة النساء:الآية٦٥.

النار فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار "[1]،

ولعظم مشقة القضاء ، نهى- ﷺ- عن السعى فى طلبه، فقال:" من طلب القضاء واستعان عليه وكل إليه، ومن لم يطلبه ،ولم يستعن عليه، وكل به ملك يسدده"[2]،أي يرشدد طريق الصواب و الحق[3].

على أن أول قاض فى الإسلام - بعد تأسيس الدولة الإسلامية فى المدينة - كان رسول الله- ﷺ- [4]، والذى كان يقضى بين المسلمين وغيرهم بمقتضى نص الوثيقة التى وقعها النبى مع اليهود[5] ، وفى الحديث" **إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن(٦)، بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له به قطعة من النار** " [7].

---

(١) أبو داود: سنن أبى داود ج٢ص٣٢٢ ، الحديث رقم٣٥٧٣، تحقيق/ محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر (د.ت)

(٢) الحاكم: المستدرك ج٤ص١٠٣، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا،ط/١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١١هـ.

(٣) أبو داود: سنن أبى داود ج٢ص٣٢٤.

(٤) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى ج١ص٢٤٣، دار الهلال، القاهرة ، سنة١٩٦٨م، د/سهام مصطفى أبوزيد: الحسبة فى مصر الإسلامية ص٢٢١،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،سنة١٩٨٦م.

(٥)ابن هشام : السيرة النبوية م١ص٥٠٤، تحقيق/ مصطفى السقا وأخران، ط/٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، سنة ١٣٥٥هـ.

(٦) اللَحَن: بفتح الحاء الفِطْنة وقد لحِن من باب طرب، الرازى :مختار الصحاح مادة:(ل ح ن).

(٧) مسلم: صحيح مسلم ج٣ص١٣٣٧، الحديث رقم١٧٣٧، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى، بيروت (د.ت)، النسائى: سنن النسائى ج٨ص٣٤٧، الحديث رقم

إلا أنه بسبب اتساع رقعة الدولة الإسلامية فى عهد رسول الله-ﷺ- ، ودخول الناس فى دين الله أفواجاً ، ورغبة منه -ﷺ- فى التيسير على المتخاصمين الذين نأت بهم الديار، فقد قلد القضاء عدد من الصحابة من أهل العلم والاجتهاد[1]، اختبر بعضهم و لم يختبر آخرين لعلمه-ﷺ- بهم [2].

وبعد انتقال رسول الله-ﷺ- إلى الرفيق الأعلى، كان الخلفاء يباشرون القضاء بأنفسهم ولا يجعلونه إلى من سواهم، وأول من دفعه إلى غيره وفوضه فيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(١٣ - ٢٣ هـ/٦٣٤-٦٤٣م) [3]،مطبقاً الأسس التى وضعها النبى-ﷺ- فى تعين القضاة من حيث الكفاءة واختبار القاضى[4]،فهو القائل: " مَا مِنْ أَمِيرٍ أَمَّرَ أَمِيرًا أَوْ اسْتَقْضَى قَاضِيًا مُحَابَاةً إِلا كَانَ عَلَيْهِ نِصْفُ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ ، وَإِنْ أَمَرَهُ أَوِ اسْتَقْضَاهُ نَصِيحَةً لِلْمُسْلِمِينَ كَانَ شَرِيكَهُ فِيمَا عَمِلَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا عَمِلَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ"[5]،ويمكن القول أن القضاء فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، قد رسخت

٥٤٢٢، تحقيق د/عبد الغفار سليمان وآخر، ط/١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤١١هـ.

(١) المالقى: تأريخ قضاة الأندلس ص٤، د/ فتحية النبراوى:تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ص١١٠ ، ط/٥،دار الفكر العربى، القاهرة سنة١٩٩١م.

(٢) الخصاف:كتاب أدب القاضى ص٣٠، تحقيق/ فرحات زيادة ، مطبعة الجبلاوى، القاهرة، سنة١٩٧٩م، الماوردى:الأحكام السلطانية ص٦١، ط/١، دار الفكر، القاهرة، سنة١٤٠٤هـ.

(٣) ابن خلدون : المقدمة ج٢ص٦٢٧.

(٤) الخصاف:كتاب أدب القاضى ص٣٩.

(٥) محمود عرنوس: تاريخ القضاء فى الإسلام ص ١٦.

أسسه كما يوضحها دستور القضاء[1]، الذى كتب به لأبى موسى الأشعرى[2]،قاضيه على الكوفة[3]، فقد استوفى فيه شروط القضاء وبين أحكام التقليد[4] ، أضف إلى ذلك أنه كان يتعهد عماله بالوصايا، ويشدد عليهم فى اختيار القضاة ومنها قوله:" لا

(١) د/ فتحية النبراوى:تاريخ النظم ص ١١١.

(٢) عبد الله بن قيس بن سليم، يكنى بأبى موسى، ولى البصرة لعمر، وعثمان، وله بها فتوح كثيرة،وولى الكوفة، وهو أحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين، وكان أحسن الصحابة صوتا في التلاوة، اختلف فى وفاته:(بين سنوات٥٠، ٥١، ٥٢هـ)، ابن خياط: الطبقات ص١٢٦، تحقيق د/ سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، سنة١٤١٤هـ، ابن حجر:الإصابة ج٤ص ص ٢١١، ٢١٣، تحقيق/على محمد البجاوى، ط/١،دار الجيل ، بيروت، ابن كثير: البداية ج٨ ص٦١، ٦٢، تحقيق د/أحمد أبو ملحم وآخرون، ط/١، دار الريان، القاهرة، سنة١٤٠٨ هـ.

(٣) الكوفة: (بالضم) المصر المشهورة بأرض بابل من سواد العراق، من الأمصار التى أنشئت فى عصر عمر (سنة ١٧هـ)، وفى عصر على أصبحت عاصمة الخلافة، وسميت بالكوفة لاستدارتها، أو لاجتماع الناس بها، وقيل: بموضعها من الأرض وذلك أن كل رملة يخالطها حصى سمى كوفة. وقيل: الكوفة الرملة الحمراء،ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع ج٣ ص١١٨٧، تحقيق/ على محمد البجاوى ، ط/١، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، سنة ١٣٧٣هـ.

(٤) يمكن مطالعة هذا الكتاب فى الماوردى:الأحكام السلطانية ص٦٤، ٦٥،ابن خلدون : المقدمة ج٢ ص٦٢٨، ٦٢٩ .

تستقضين إلا ذا مال، وذا حسب؛ إن ذا المال لا يرغب في أموال الناس، وإن ذا الحسب لا يخشى العواقب بين الناس"[1].

وإذا كان الأمر كذلك فكيف كان يتم تعيين القضاة فى مدينة رسول الله فى عهد بنى أمية؟ وقد صارت تابعة للخلافة لا مقراً لها؟ ومن أى فئات المجتمع كان يتم اختيار القضاة؟ وما هى علاقاتهم بمعاصريهم من الخلفاء والأمراء وغيرهم من أفراد الأمة؟ هذا ما سنتعرف عليه فى الصفحات التالية.

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ ص ص٧٦، ٧٧، تحقيق/عبد العزيز مصطفى ط/١،المكتبة التجارية،القاهرة، سنة١٣٦٦هـ.

الفصل الأول
"اختيار القضاة"

بداية و قبل الحديث عن كيفية اختيار القضاة، ومن له حق تعينهم وعزلهم؟ ينبغى أن نشير إلى الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى هذا المنصب الجليل، إذ"لا يجوز تقليد هذا القضاء إلا لمن تكاملت فيه سبع شروط" [١]، وهى:

الشرط الأول:أن يكون رجلاً، وهذا الشرط يجمع بين صفتين: البلوغ، والذكورية.

الشرط الثانى: أن يكون صحيح التمييز، جيد الفطنة، بعيداً عن السهو والغفلة، يتوصل بذكائه إلى إيضاح ما أشكل وفصل ما أعضل.

الشرط الثالث: الحرية.

الشرط الرابع: الإسلام[٢]، واحترزنا بالإسلام، والحرية، والذكورية، والبلوغ، عن الكافر، والعبد، و المرأة، والصبى" فهؤلاء ليسوا من أهل القضاء وإن ولوا لم تنعقد ولايتهم ولا أحكامهم" [٣].

الشرط الخامس: العدالة، بمعنى أن يكون صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفاً عن المحارم متوقياً المأثم بعيداً من الريب، مأموناً فى الرضا والغضب، مستعملاً لمروءة مثله فى دينه ودنياه[٤].

---

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية ص٥٩، الفراء: الأحكام السلطانية ص ٦٠، تحقيق/ محمد حامد، دار الكتب العلمية. بيروت، سنة١٤٠٣هـ. وقد فصل المالقى هذه الشروط ، فذكرها على أنها عشرة : تأريخ قضاة الأندلس ص٤.

(٢) المصادر السابقة نفس الصفحات.

(٣) ابن أبى الدم: كتاب أدب القضاء ص ٣٣.

(٤) الماوردى: الأحكام السلطانية ص ص ٥٩، ٦٠.

الشرط السادس:السلامة فى السمع والبصر ليفرق بين الطالب والمطلوب ، ويميز المقر من المنكر، ويعرف المحق من المبطل، ولا يتحصل للضرير، والأطرش ذلك[1].

الشرط السابع:أن يكون عالماً بالأحكام الشرعية، أصولها وفروعها، بمعنى أن يكون عالماً بالكتاب والسنة والاجتهاد والرأى والنظر فى ذلك ، فإذا عرف ذلك صار من أهل الاجتهاد وجاز له أن يفتى، و يقضى. ومن لم يعرف ذلك لم يكن من أهل الاجتهاد ، ولم يجز له أن يفتى ويقضى ، فإن قلد القضاء كان حكمه باطلاً، وإن وافق الصواب لعدم الشرط[2].

وإن كانت هذه الشروط التى وضعها العلماء متأخرة عن زمن هذا البحث، فإنها كانت واضحة لدى خلفائه، وأية ذلك قول الخليفة :عمر بن عبد العزيز[3](٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) "خمس إن أخطأ القاضي منهن خصلة كانت فيه وصمة، أن يكون

(١) الفراء الأحكام السلطانية ص ٦١.

(٢) الخصاف: كتاب أدب القاضى ص٢٩،الماوردى: الأحكام السلطانية ص٦٠، الفراء :الأحكام السلطانية ص ٦٢.

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان، ولد (سنة ٦٠ هـ)، وقيل: (سنة ٦٣هـ)، وكان من سادة التابعين، ولى المدينة للوليد. وسليمان والذى عهد إليه بالخلافة من بعده، فبويع له بها فى صفر(سنة ٩٩هـ) فعمل على رد المظالم إلى أهلها، توفى فى رجب (سنة ١٠١ هـ)، المسعودى:التنبيه والأشراف ص٢٧٦. تحقيق/ عبد الله إسماعيل، دار الصاوى، القاهرة، القلقشندى: مآثر الأنافة ج ١ ص ص ١٤١، ١٤٥، تحقيق/ عبد الستار أحمد، عالم الكتب، بيروت، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ص ٢٧٤، ٢٩٣، تحقيق/ محمد محى الدين، دار الجيل، بيروت. سنة ١٤٠٨هـ.

فهيماً، وأن يكون حليماً، وأن يكون عفيفاً، وأن يكون صليباً، وأن يكون عالماً يسأل عما لا يعلم"[١] ،أضف إلى ذلك أن قضاة هذا العصر كانوا ممن جمع بين العلم والعمل، كما أن أنهم – أى الخلفاء والأمراء– كانوا يقلدون أهل عصبيتهم بالنسب أو الولاء، ولا يقلدون من بعد عنهم فى ذلك[٢]،كما سيظهر من خلال ثنايا البحث .

أما عن **كيفية تعيين القضاة** ؟ فقد كان ولاة المدينة هم الذين يختارون القضاة ويولونهم لقيامهم بالسياسة العامة، وكثرة أشغالهم، إذ أن الخلفاء كانوا يولونهم ولاية عامة[٣] ، ومن ثم ازدهى عصر بنى أمية بمجموعة من القضاة الأفذاذ [٤] ، وفى بعض الأحيان كان الولاة يتولون القضاء بأنفسهم، أما عن تدخل الخليفة فى تنصيب القاضى فقد كان نادراً [٥].

فعلى سبيل المثال عندما عهد الخليفة معاوية بن أبىسفيان[٦] (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م) بولاية المدينة إلى

---

(١) ابن سعد : الطبقات ج٥ص،٤٤٢، تحقيق د/ حمزة النشرتى وآخر، طبع المكتبة القيمة ، القاهرة (د . ت).

(٢) ابن خلدون: المقدمة ج٢ص٦٣٠ .

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٥ص١٨٩، الزبيرى: نسب قريش ٢٨٤، وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٤١ .

(٤) د/عطية مصطفى مشرفة: القضاء فى الإسلام ص١٦٦، مطبعة الاعتماد ، القاهرة سنة١٩٣٩م.

(٥) محمد الخضرى: تاريخ الأمم ص٣٢٠ ، دار الفكر اللبنانى، سنة١٩٩٤م، د/عطية مشرفة: القضاء فى الإسلام ص١٦٦، د/محمود زيادة: الدولة الأموية ص٤٤٩، مطبعة دار التأليف، القاهرة، سنة١٩٦٩م.

(٦) معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب، أسلم فى عمرة القضاء، وقيل: عام الفتح ، وشهد حنين،وهو أحد كتابه-ﷺ – ولاه عمر على الشام (سنة ١٩هـ) ، ثم ولى الخلافة بعد تنازل الحسن بن

مروان بن الحكم[1] – كأول أمير عليها من قبل بنى أمية- استقضى عبد الله بن نوفل[2]، أول قاض على المدينة من التابعين[3]، وقيل: بل استقضاه أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان[4]،وذهب بعض المؤرخين[5]إلى أن أول من استقضاه عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في خلافته(١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٣م)، ولا أميل إلى ما

على، وتوفى(سنة ٦٠هـ)، المسعودى: التنبيه ص ص ٢٦١، ٢٦٢، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ص ٢٢٣، ٢٤٠ .

(١) مروان بن الحكم بن أبى العاص، ولد فى (سنة١هـ)، وكان من سادات قريش، اتخذه عثمان بن عفان كاتبا له، وولاه معاوية إمارة المدينة، والحج أكثر من مرة، ثم بويع له بالخلافة فى مؤتمر" الجابية"(سنة٦٤هـ) وتوفى فى شهر رمضان (سنة ٦٥هـ) ، ابن عبدالبر:الاستيعاب ج٣ ص ص ١٣٨٧،١٣٩٠ تحقيق / على محمد البجاوى، ط/١، دار الجيل، بيروت، سنة ١٤١٢هـ ، ابن حجر: الإصابة ج٦ ص ص ٢٥٧، ٢٥٩.

(٢) عبد الله بن نوفل بن الحارث، كان من عباد أهل المدينة، وهو أول من ولي قضاؤها لمروان،وكان يشبه بالنبي – ﷺ – اختلف فى صحبته، وكذلك فى وفاته بين(أعوام٦٣، ٧٩، ٨٤هـ)، وقيل: مات في زمن معاوية، ابن حبان: الثقات ج٥ ص ص ٥، ٦، تحقيق/السيد شرف الدين، ط/١، دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٩٥هـ، ابن الأثير: أسد الغابة ج٣ص ص٤٠٧، ٤٠٨، مطابع الشعب، القاهرة، سنة ١٩٧٠م، ابن حجر: الإصابة ج٤ص٢٥٤.

(٣) ابن قتيبة: المعارف ص٥٥٨، تحقيق د/ثروت عكاشة، ط/٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،سنة ١٩٩٢م، ابن حبان: الثقات ج٥ص٥، السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ص٤٩، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٤هـ.

(٤) محمد عليش: منح الجليل شرح مختصر خليل ج٨ص٢٥٧، دار الفكر، بيروت، سنة١٤٠٩هـ .

(٥) القلقشندى: صبح الأعشى ج١ ص٤٧٥، تحقيق د/ يوسف علي . . طويل، ط/١دار الفكر، دمشق سنة ١٩٨٧م.

جاء فى الرأى الأخير، وذلك لأن الخلفاء فى صدر الإسلام كانوا يباشرون القضاء بأنفسهم ولا يجعلونه إلى من سواهم[1] فى مقر إقامتهم، بالإضافة إلى عدم ورود اسمه ضمن القضاة الذين استعان بهم عمر فى المدينة المنورة[2].

وعندما عزل مروان، وتولى إمرة المدينة سعيد بن العاص[3] استقضى أبو سلمة بن عبد الرحمن الزهرى[4] [5] ،

---

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص ص١٠٦، ١١٠، ابن خلدون: المقدمة ج٢ص٦٢٧.

(٢) ذكرت بعض المصادر أن أمير المؤمنين عمر ولى أبا الدرداء، وقيل:إنه أذن للسائب بن يزيد أن يقضى معه فى صغار الأمور، وقيل: استعمل زيد بْن ثابت على القضاء، ابن خياط: تاريخ خليفة ص ص ١٥٤، ١٥٥، تحقيق د/ أكرم ضياء العمرى، ط/٢، دار طيبة، الرياض، وكيع: أخبار القضاة ج١ص ١١١، ابن خلدون: المقدمة ج٢ص٦٢٧.

(٣) سعيد بن العاص بن سعيد الأموى، ولد عام الهجرة، وقيل: فى السنة الأولى منها، كان من أشراف قريش ممن جمع السخاء والفصاحة، وممن كتبوا المصحف لعثمان، و ولى له الكوفة، ولم يدخل فى شىء من الحروب حتى استقر الأمر لمعاوية، وتوفى (سنة ٥٨هـ) وقيل:(سنة ٥٩هـ)،ابن سعد: الطبقات ج٥ ص ص ٣٢، ٤٠، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢١ ص ص ١٠٧ ،١٤٣، تحقيق/ عمر بن غلامة، ط/١، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٥هـ.

(٤) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني الفقيه، اسمه كنيته، وقيل: اسمه عبد الله، روى عن أبيه وطائفة من الصحابة والتابعين، وكَانَ إماماً حجّة عالماً، توفيّ (سنة ٩٤هـ) وروى لهُ الجماعة، ،ابن خياط: الطبقات ص٤٢٢، الصفدى:الوافى ج١٥ص٣٢٣،باعتناء س ديدرينغ وآخر،ط/٢،دار صادر، بيروت،، ابن كثير:البداية ج٩ ص١٢٢.

(٥) الطبرى: تاريخ الرسل ج٥ص٢٣٢، تحقيق/ محمد أبو الفضل، ط/٤، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٧م، ابن الجوزى: المنتظم ج٥ص١٩٣، تحقيق د/ محمد عبد القادر وآخر، ط/١،دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٢١هـ.

وعلى نفس النهج سار هشام بن إسماعيل [١]، فقد استقضى عمر ابن خلدة الزرقى[٢] [٣] ، واستقضى الوليد بن عروة [٤] -آخر ولاة بنى أمية على المدينة- محمد بن عمران[٥] [٦] .

---

(١) هشام بن إسماعيل بن هشام المخزومى، كان أول من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق ، وولى لعبد الملك المدينة فى (سنة٨٣هـ)، ثم عزله فى (سنة٨٧هـ)، فقدم دمشق، وبها كانت وفاته (سنة٨٨هـ)، ابن كثير: البداية ج٩ ص ٨١، الفاسى:العقد الثمين ج٧ ص ص ٣٦٨ ،٣٦٩، تحقيق/محمد حامد، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت،سنة ١٤٠٦هـ.

(٢) عمر بن خلدة، ويقال: عمر بن عبد الرحمن بن خلدة الزرقي الأنصاري،المدني القاضي، روى عن أبي هريرة، وعنه ربيعة وغيره، كان ثقة قليل الحديث، الرازى: الجرح ج٦ص١٠٦. ط/١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٦ص٤٨ مراجعة/ صدقى جميل، ط/١، دار الفكر،سنة١٤١٥هـ.

(٣) ابن خياط:تاريخ خليفة ص٢٩٦،وكيع:أخبار القضاة ج١ ص١٣٠.

(٤) الوليد بن عروة بن محمد السعدى، من أهل دمشق، ولى إمرة مكة لابن عمه عبد الملك بن محمد، فلما قتل فى اليمن، أقره مروان بن محمد على ولاية مكة، وولاد الموسم، فى (سنة ١٣١هـ) وظل والياً على مكة إلى انقضاء الدولة الأموية، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٦٣ ص ص ٢١٦ ،٢١٧، الفاسى : العقد الثمين ج٧ ص ص ٣٩٧ ،٣٩٨.

(٥) محمد بن عمران بن إبراهيم المدنى، روى عن جماعة من التابعين، وكان مهيباً، قليل الحديث ولى القضاء بالمدينة لبنى أمية، ثم ولاه ذلك المنصور، توفى (سنة ١٥٤هـ) فلما بلغ المنصور وفاته، قال:"اليوم استوت قريش"، الرازى: الجرح ج٨ص٤١، ابن حبان: الثقات ج٧ص ٣٦٧، ابن الجوزى: المنتظم ج٨ ص ص ١٨١، ١٨٢.

(٦) ابن خياط: تاريخ خليفة ص٤٠٨، وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٨٢.

كذلك كان بعض الولاة يعيين قاضياً ، ثم يعزله، و يعيين آخر، مثل عمر بن عبد العزيز، الذى استقضى- فى بداية ولايته على المدينة - عبد الرحمن بن يزيد [1]،"أياماً يسيرة ثم عزله عزلاً جميلاً "[2]، واستقضى أبو بكر بن حزم[3] [4] ، ومثله عبد الواحد ابن عبد الله النصرى[5] ، الذى استقضى فى أول إمرته سعد بن

(١) عبد الرحمن بن يزيد بن جارية الأنصارى، ويقال: عبد الرحمن بن جارية بن مجمع، ولد في حياة النبى،وولي القضاء لعمر بن عبدالعزيز، قال الأعرج : "ما رأيت رجلا بعد الصحابة أفضل منه"، توفى(سنة٩٨هـ)، وقيل: (سنة٩٣هـ)، ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص١٢٠، تحقيق/مرزوق على، ط/١، دار الوفاء، سنة١٤١١هـ، ابن عبد البر:الاستيعاب ج٢ص ص٨٥٥، ٨٥٦، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٥ص ص٢٠٠، ٢٠١.

(٢) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٣.

(٣) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى، اسمه كنيته، كان تلميذ الفقهاء الكبار فى المسجد النبوى، ثم ما لبث أن تصدر للحديث، والفتيا، وكان من أعلم أهل زمانه بالقضاء، ولى إمرة المدينة، وقضاءها، وكان فاضلا، عظيم المروءة، وثقة ابن معين، وروى له البخارى، ومسلم، وأصحاب السنن، وكانت وفاته فى (سنة١٢٠هـ)، ابن قتيبة: المعارف ص ٤٦٦، ابن الجوزى: المنتظم ج٧ ص ٢٠٦، الصفدى: الوافى ج١٠ ص٢٤٧ .

(٤) الطبرى:تاريخ الرسل ج٦ص٤٣٣، ابن الجوزى: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص٤١، تحقيق / نعيم زرزور، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٤هـ.

(٥) عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النصرى، ولاه يزيد المدينة فى (سنة١٠٤هـ) وعزله هشام (سنة١٠٦هـ)و توفى بعدها، وكان رجلا صالحا لا يقطع أمراً إلا استشار فيه الفقهاء، الفاسى: العقد الثمين ج٥ ص ٥٢٦، السخاوى: التحفة ج٣ص١٠٠، الزركلى: الأعلام ج ٤ ص ١٧٦، ط/ ١٢، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩٧م.

إبراهيم القرشى[1]، ثم عزلـه، واستقضـى سـعيد بـن سـليمان الأنصارى[2] [3]

يضاف إلى ذلك أن بعض الولاة كان لا يستعمل قاضاً جديداً – فى ولايته– وإنما يقر القاضى الذى استعمله الأمير السابق عليه فى الإمارة، فعلى سبيل المثال استقضى عمر بن عبد العزيز،أبوبكر ابن حزم، فلما ولى عثمان بن حيان[4] أقـرد علـى القضـاء [5].

---

(١) سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، روى عن ابن عمر، وجابر، وعنه الزهرى، ويحيى بن سعيد،، كان من كبار العلماء، وولى الشرطة والقضاء بالمدينة، وكان لا تأخذه فى الحق لومة لائـم، وثقه ابن حنبل، وجماعة، توفى (سنة١٢٧هـ)، البخارى:التاريخ الصغير ج١ ص٣٦٠، تحقيـق/ محمـود إبـراهيم، ط/١، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٦هـ، الذهبى: سير أعلام ج٥ ص ص ٤١٨، ٤٢١، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط، ط/١١، مؤسسـة الرسالة، بيروت، سنة ١٤١٧هـ.

(٢) سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاري المدني، روى عن أبيـه وعمه خارجة، وعنه الزهري وغيره، ولي قضاء المدينـة، وكـان فاضلا عابدا كثير الصلاة، وقال النسائي: ثقة، وكان قليل الحـديث، توفى(سنة١٣٢هـ)، ابن خياط: الطبقات ص٤٦٠،ابن حبان: الثقـات ج٦ص٣٥٠، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٣ص ص٣٣٣، ٣٣٤.

(٣) ابن خياط: تاريخ خليفة ص٣٣٤، وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٦٤.

(٤) عثمان بن حيان بن معبد المري، يكنى بأبى المغراء الدمشـقي، مولى أم الدرداء، ويقال: مولى عتبة بن أبي سفيان، قال هشـام بن سعد،:"كان رجلا من أهل الخير"، ولى المدينة للوليد، وكان في سيرته عنف فعزل عنها(سنة ٩٦هـ) وولـي الصـائفة، وغـزا قيصرة من أرض الروم وذكره ابن حبان في الثقات، روى له مسـلم وابن ماجة حديثا واحدا، توفى (سنة١٥٠هـ) ابـن حبـان: الثقـات ج٧ص١٩٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٣٨ص ص٣٣٨، ٣٤٨.

(٥) ابن خياط: تاريخ خليفة ص ص٣١٢، الطبرى: تاريخ الرسـل ج٦ص ص ٤٣٣، ٤٨٥.

وكذلك عثمان بن عمر التيمى[1]،والذى استقضاه عبد العزيز بن عمر[2]، فلما ولى إمرة المدينة عبد الواحد بن سليمان[3]، أقرّه على قضائها [4].

وكان بعض الولاة يتولى القضاء بنفسه، كما فعل ولاة ابن الزبير[5] على المدينة – أثناء الصراع على الخلافة مع آل

---

(١) عثمان بن عمر بن موسى القرشي التيمي، روى عن أبان، وخارجة وغيرهما، وعنه إبراهيم بن طلحة، وابنه عمر، كان على قضاء المدينة في زمن مروان بن محمد، ثم ولاه المنصور قضاءه، وكان مع المنصور حتى مات بالحيرة، وذكره ابن حبان في الثقات، ابن حبان: الثقات ج٧ص٢٠٠، المزى: تهذيب الكمال ج١٩ص ص٤٦٥، ٤٦٦، تحقيق د/ بشار عواد، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤١٣هـ.

(٢) عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، روى عن أبيه، ونافع، وعنه ابن جريح، وابن وهب، وكان عالماً فقيها نبيلا، ولى الحرمين ليزيد الناقص، ولمروان بن محمد، وكان فى صحابة المنصور خاصاً به، ويلازمه، وثقه ابن معين، توفى (سنة ١٤٧هـ)،ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٣٦ ص ص ٣٢٣ ،٣٣٢، الفاسى: العقد الثمين ج٥ ص ص ٤٥٥، ٤٥٦.

(٣) عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، روى عن عبد الله بن على، وعنه الوليد الموقرى، ولى الموسم والحرمين لمروان بن محمد، وقتله صالح بن على فى (سنة١٣٢هـ)، الزبيرى: نسب قريش ص ١٦٦، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٣٧ ص ص٢٣٨ ،٢٤٢، الفاسى : العقد الثمين ج٥ ص ص ٥٢٣ ،٥٢٦.

(٤) ابن خياط: تاريخ خليفة ص ص٣٧١، ٤٠٨، وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٨٠.

(٥) عبد الله بن الزبير بن العوام، أول مولود ولد فى الإسلام من المهاجرين بالمدينة، وكان فارس قريش فى زمانه، يقال: إنه شهد اليرموك، وشهد فتح المغرب، وغزو القسطنطينية،ويوم الجمل بويع له بالخلافة بعد موت يزيد، وكاد الأمر يتم

مروان[1] ، وكذلك فعل طارق بن عمرو[2] ، الذى تولى إمرة المدينة فى(سنة٧٢هـ) فلم يزل عليها حتى قدمها الحجاج فى (سنة٧٣هـ)[3]، فى حين كان بعض الولاة ينظر فى ولايته مع وجود القاضى، مثل أبان بن عثمان[4]"والذى كان من أعلم الناس بالقضاء" [5]،وكان إذا جلس للقضاء كثيراً ما يتمثل بقول الشاعر:

سنمت وأصبحت رهن الفرا ∴ ش من جرم قومي ومن مغرم
ومن سفه الرأي بعد النّهي ∴ وعيب الرّشاد فلم ينهم
لو أنّ قومي أطاعوا الحل ∴ يم لم يتعدّ ولم يظلم
ولكنّ قومي أطاعوا الغوا ∴ حتى تغيّظ أهل السدّم
فأودى السّفيه برأي الحل ∴ يم وانتشر الأمر لم يبرم[6]

وكذلك عمر بن عبد العزيز، والذى كان العلماء يتدارسون قضائه، وآية ذلك أن رجلاً من البربر" ذاكر ربيعة بن أبي

له،وقتل(سنة ٧٣هـ)،الذهبى: سير أعلام ج٣ ص ص ٢٦٣، ٣٨٠،ابن كثير:البداية ج٨ ص ص ٣٣٧ ،٣٥٠.

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٢٤.

(٢) طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان، وجهه عبد الملك من الشام فغلب له على المدينة، سمع جابر، قال أبو زرعة: ثقة، توفى بعد(سنة٧٣ هـ)،ابن عساكر : تاريخ دمشق ج٢٤. ص ص٤٣٠، ٤٣٣، الزركلى: الأعلام ج٣ص٢١٧.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٤ص ص٢٣١، ٢٣٢.

(٤) أبان بن الخليفة عثمان بن عفان، روى عن أبيه، وزيد بن ثابت، وعنه الزهرى، قال عمرو بن شعيب: "ما رأيت أحد أعلم بحديث ولا فقه من أبان"، روى له مسلم، والأربعة، ولى إمارة المدينة سبع سنين، وتوفى (سنة ١٠٥هـ)، البخارى: التاريخ الكبير ج١ ص ص ٤٥٠، ٤٥١، دار الكتب العلمية ، بيروت، الصفدى: الوفى ج٥ ص٣٠١ .

(٥) ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص١١١.

(٦) وكيع:أخبار القضاة ج١ ص١٢٩، ١٣٠،الأصفهانى :الأغانى ج٢٢ ص١٣٥، تحقيق/سمير جابر، دار الفكر، بيروت.

عبدالرحمن[1] شيئاً من قضاء عمر بن عبد العزيز إذ كان بالمدينة ... فقال له ربيعة: كأنك تقول: إنه أخطأ، والذي نفسي بيده ما أخطأ قط"[2].

وعندما ولى إمرة المدينة عبد الواحد بن عبد الله النصرى اراد بعض أهلها اختباره، و معرفة مدى علمه بالقضاء - فعرض عليه قضية تتعلق بالميراث- فقال: -بعدما سمع حجة كل منهما- لستما كما قلتما، بل أنتما كما قال الله عز وجل:{بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}[3] " [4].

وعلى الرغم من أن الخليفة كان يفوض الولاة فى تعيين القضاة إلا أنه كان يتدخل - فى بعض الأحيان- فيعيين القضاة، كما ذكر بعض الرواة:[5]، عن أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠م) فى استقضاه عبد الله بن نوفل ، وقدم عبد الله بن عبد الرحمن[6]، على أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز

---

(١) ربيعة بن أبي عبد الرحمن، واسم أبي عبد الرحمن فرخ مولى آل المنكدر، و يقال له ربيعة الراى، ويكنى بأبى عثمان، كان من فقهاء المدينة،وتوفي (سنة١٣٦هـ)و قيل (سنة١٣٣هـ) ابن حبان: الثقات ج٤ ص٢٣١، ٢٣٢، الخطيب: تاريخ بغداد ج٨ ص٤٢٠، ٤٢٥، تحقيق/ مصطفى عبد القادر، ط/١،دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة١٤١٧هـ.

(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاء ج٥ص١١٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٤٥ص١٤٢.

(٣) سورة الزخرف:الآية٥٨.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٣٧ص٢٥١.

(٥) محمد عليش: منح الجليل شرح مختصر خليل ج٨ص٢٥٧.

(٦) عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الأنصاري، يكنى بأبى طوالة من أهل المدينة يروى عن أنس، روى عنه مالك، وكان خليفة لأبي بكر بن حزم على القضاء بالمدينة، وكان صدوقاً، توفى

فى خلافته(٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) فولاه قضاء المدينة[١]- وذلك على الرغم من أن أمير المدينة كان أحد القضاة - ومرجع ذلك إلى حرص الخلافة على استقلالية القضاء، وعدم تعطيل أمور الناس، بانشغال الأمير عنها بالسياسة، وأمور الحكم، وحينما عزل أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك(١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤ - ٧٤٣م)[٢]، خالد بن عبد الملك[٣]- عامله على المدينة- كتب إلى أبى بكر بن حزم بولايتها، و قضائها [٤].

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه وجد فى هذا العصر عددا من القبائل والأسر، اشتهر أفرادها بتولى منصب القضاء، بعضهم من القريشيين، وبعضهم من الأنصار، فمن القريشيين: بنى زهرة، فقد تولى منصب القضاء منهم أربعة هم: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن

(سنة١٣٤هـ)، البخارى: التاريخ الكبير ج٥ص١٣٠، ابن حبان: الثقات ج٥ ص٣٢، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤ص٣٧٦

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٩ص٣٢٢، المزى: تهذيب الكمال ج١٥ص٢١٧.

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان، ولد فى (سنة٧١هـ) بـ(دمشق) استخلف بعهد من أخيه يزيد فى(سنة١٠٥هـ)،وكان حازم الرأى، ذكيا، مدبرا بصيرا بالأمور، جليها وحقيرها، بنى الرصافة، توفى (سنة١٢٥هـ)، ابن كثير: البداية ج٩ص ٣٦٥. ٣٦٩،القلقشندى: مآثر الأنافة ج١ ص ١٥٠ ،١٥٢، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ص ٢٩٦، ٢٩٩.

(٣) خالد بن عبد الملك بن الحارث الأموى، كان ذا حنكة، ودهاء، وحسن تصرف، ولى المدينة لهشام سبع سنين، فأقحطوا فكان يقال لها :"سنيات خالد والسنيات البيض"، ثم غضب عليه وعزله فى (سنة١١٨هـ)، الزبيرى: نسب قريش ص ص ١٧٠ . ٢٨٠، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج١٦ ص ص ١٧٠ ،١٧٤.

(٤) ابن خياط: تاريخ خليفة ص ٣٦١.

عوف، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف[1]، وطلحة بن عبد الله ابن عوف[2]، وسعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف[3].

و كذلك تولى هذا المنصب الجليل اثنان من بنى تيم بن مرة هم: عثمان بن عمر بن موسى بن عبيد الله، ومحمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد[4].

وأما الأنصار فقد اشتهر منهم آل حزم، حتى قال الرواة عنهم: "وآل حزم قضاة"[5]، وقد تولى منهم منصب القضاء ثلاثة

---

(١) مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، من أشجع رجال عصره، وأشدهم بطشا، استعمله مروان على شرطة المدينة، ثم لحق بابن الزبير، بمكة، وحضر معه بداية حرب (الحصين بن نمير) قائد حملة الشام، فأصاب مصعباً سهم فقتله (سنة ٦٤هـ)، الزبيرى: نسب قريش ص٢٦٩، ابن خياط: الطبقات ص٤٠٧، الزركلى: الأعلام ج٧ص٢٤٨.

(٢) طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري المدني الفقيه؛ قاضي المدينة، روى عن عمه عبد الرحمن وعثمان، وعنه الزهري، وثقه جماعة، وروى له البخاري والأربعة، وكان يقال له: طلحة الندى لجوده، توفي (سنة ٩٧هـ)،البخارى : التاريخ الكبير ج٤ص٣٤٥، ابن حبان: الثقات ج٤ص٣٩٢، الصفدى: الوافى ج١٦ص ص٤٨٢، ٤٨٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٥ص١٨٨، ابن حبان: مشاهير ص١١٢، ابن كثير: البداية ج٨ص٢٤٢، ابن حجر: تهذيب ج٣ص٢٧٥، ج٤ص١١٢، ج١٠ص١٣٠.

(٤) الزبيرى: نسب قريش ص٢٨٤، ٢٩٠، ابن خياط: تاريخ خليفة ص٤٠٨، وكيع: أخبار القضاة ج١ ص١٣٥ ،١٤٧، ١٧٥.

(٥) البخارى: التاريخ الكبير ج١ص٤٧، السخاوى: التحفة اللطيفة ج٢ص٤٦٣.

هم:أبو بكر بن محمد بن عمرو، وعبد الله بن عبد الرحمن (أبوطوالة)، ومحمد بن أبو بكر بن محمد بن عمرو[١] [٢].

اختصاص القاضى: كانت وظيفة القاضى فى صدر الإسلام محصورة على الفصل بين الخصوم فقط، ثم أضيف إليهم بعد ذلك أمور أخرى على التدريج بحسب انشغال الخلفاء و الملوك بالسياسية[٣]، أو بحسب ما يراه الخليفة فى القاضى من الكفاءة للقيام بما فوض إليه[٤]، فأضيف إلى عمل القاضى استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين ممن ماطل بها، وتوصيلها إلى مستحقيها. كذلك النظر في أموال المحجور عليهم من المجانين، واليتامى. والمفلسين، وأهل السفه، بالإضافة إلى تنفيذ وصايا المسلمين على شروطهم، وصيانة أوقافهم بحفظ أصولها، و تنمية فروعها. وصرفها فى سبيلها، ومحاسبة القائم عليها، أضف إلى ذلك، تزويج الأيامى عند فَقَد الأولياء على رأي من رآه، والنظر في مصالح الطرقات والأبنية، وتصفح الشهود والأمناء والنواب، واستيفاء العلم والخبرة فيهم، بالعدالة، والجرح ليحصل له الوثوق بهم [٥].

---

(١) محمد بن أبي بكر بن محمد الأنصاري قاضي المدينة، كان أكبر من أخيه عبد الله، روى عن أبيه، وعمرة، رأى بعض الصحابة، وكان من الثقات، وروى له الجماعة، وتوفي (سنة ١٣٢هـ)، الرازى: الجرح ج٧ص٢١٢، المزى: تهذيب الكمال ج٢٤ص ص٥٣٩، ٥٤٠،الصفدى: الوافى ج٢ ص٢٥٩.

(٢) الفسوى: المعرفة ج١ص ص٦٤٣، ٦٤٤، تحقيق د/ أكرم ضياء العمرى. ط/١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، سنة ١٤١٠هـ . الرازى: الجرح ج٩ص٣٣٧، ابن حبان: مشاهير ص١٢٩.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ج٢ص٦٣٠.

(٤) محمود عرنوس: القضاء ص ٢٦.

(٥) الماوردى: الأحكام السلطانية ص ص ٦٣، ٦٤، ابن خلدون: المقدمة ج٢ ص ص٦٣٠، ٦٣١ .

رزق القاضى: من المعلوم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(١٣ - ٢٣ هـ/٦٣٤-٦٤٣م) هو أول من دون الدواوين[١]، وأول من رتب أرزاق القضاة[٢]، ووسع عليهم، فقد كتب إلى بعض عماله بقوله: " انظروا رجالاً من أهل العلم الصالحين قبلكم، فاستعملوهم على القضاء، ووسعوا عليهم فى الرزق"[٣] ، وهذا يدل على أن التوسعة على القضاة فى أرزاقهم، كان مبدأ عاماً فى الدولة الإسلامية، من يوم أن وجدت الأرزاق. وذلك حتى يحول بينهم وبين الشبهات،ويبعدهم عن المال الحرام [٤].

وعلى النهج السابق سار خلفاء الدولة الأموية فى الاهتمام برواتب القضاة فى عصرهم، بيد أنه لم يكن هناك مرتب محدد للقاضى أو قريب من التحديد، وإنما كان يَزْدَادُ تبعاً لزيادة موارد الدولة، وزيادة سائر المرتبات بها[٥] ، فعندما قدم عمر بن عبد العزيز المدينة" أمر رجلاً يقضي بين الناس فأجرى له في الشهر دينارين"[٦] ، بينما أجرى على أبى بكر بن حزم" ثمانية وثمانين ديناراً، قال مالك:[٧]ولا أراه أجراها إلا على حساب سعر المدينة"[١]، وجاء فى بعض المصادر[٢] أن رزقه ثلاثمائة دينار فى الشهر.

---

(١) الماوردى: الأحكام السلطانية ص ١٧٢.
(٢) محمود عرنوس: القضاء ص ٢٩.
(٣) الخصاف: كتاب أدب القاضى ص١١٠.
(٤) د/أحمد شلبى: موسوعة الحضارة الإسلامية ج٤ص٢٩٣، أنور العمروسى: التشريع و القضاء ص٨٨.
(٥) جرجى زيدان: تاريخ التمدن ج١ص٢٤٧، د/أحمد شلبى: موسوعة الحضارة الإسلامية ج٤ص٢٩٠.
(٦) وكيع: أخبار القضاة ج١ ص١٣٤.
(٧) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الحميرى الأصبحى، إمام دار الهجرة، اختلف فى مولده بين (سنوات ٩٠، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧ هـ)، روى عن أكابر علماء المدينة، حتى قال عن

وهذا يدل أولاً: على حرص الدول على ألا توجد فجوة بين الدخول والأسعار تعرض القاضى للحاجة أو أن تمتد يده إلى ما حرم الله.

ثانياً: ربما كان المبلغ الأول: رزق ابن حزم فى بداية عهده بالقضاء ، والثانى: فى أخر حياته، وربما كان الأول: رزقه على القضاء ، والأخر: رزقه على إمارة المدينة، إذ أن المبلغ الأخير . هو نفس رزق والى المدينة عبد الواحد النصرى [٣].

وفى هذا رد على ما ذهب إليه بعض الباحثين[٤]، من أن القضاة فى " زمن عمر بن عبد العزيز لم يتقاضوا راتباً أصلاً، لأنه رأى أن القاضى لا يجوز له أن يتقاضى راتباً نظير قيامه بهذه الخدمة الدينية"، أضف إلى ذلك أن عمر بن عبد العزيز فرض رزقاً للمؤذنين، والمعلمين[٥]، وليس فى عملهم، شبهة تقربهم من المال الحرام مثل عمل القاضى.

وإن كان هذا لا يمنع من أن بعض القضاة – فى هذا العصر– تعففوا عن أخذ الأرزاق على عملهم، ولكن فرق كبير بين

نفسه:"ما أفتيت حتى شهد لى سبعون أنى أهل لذلك، وقل رجل كنت أتعلم منه، ومات حتى يستفتينى"، له كتاب الموطأ، وتوفى بالمدنية (سنة ١٧٩هـ)، ابن خياط: الطبقات ص٤٧٩، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٨ ص ص ٤٨، ١٣٥.

(١) المزى: تهذيب الكمال ج٣٣ص١٤١.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٥ص٣١٤.

(٣) الفاسى: العقد الثمين ج٥ ص ٥٢٦، السخاوى: التحفة اللطيفة ج٣ص١٠٠.

(٤) د/عطية مشرفة: القضاء فى الإسلام ص١٩١، د/أحمد شلبى: موسوعة الحضارة الإسلامية ج٤ص٢٩٢.

(٥) ابن سعد: الطبقات ج٥ص٤٢٩، ابن الجوزى: سيرة و مناقب عمر ص٩٢.

الامتناع، واحتساب الأجر عند الله ، وبين عدم صرف الرواتب للقضاة بأمر الخليفة.

وعلى كل حال فقد وجد من بين القضاة ، من لم يرتزق على القضاء شيئاً، كعُمَر بْن خلدة، والذى قيل له:- بعد عزله-" يا أبا حفص كيف رأيت ما كنت فيه ؟ قال:كان لنا إخوان فقطعناهم، وكانت لنا أريضة نعيش منها، فبعناها وأنفقنا ثمنها"[1] .

ويبدو أن كثيراً من قضاة هذا العصر، اعتبروا القضاء خدمة دينية يقدمونها حسبة، ولا يرجون أجراً عليه إلا من الله عز وجل، فكانوا ينفقون على معايشهم من أموالهم الخاصة، و يكتفون بقليل العيش عن كثيره، حتى صارت حالتهم المادية مضربا للأمثال، فكان الرجلان من أهل المدينة يتقاولان "فيقول أحدهما لصاحبة:لأنت أفلس من القاضى" [2]، ولذلك ذهب بعض العلماء[3] إلى القول بأن القاضى" إذا كان محتاجاً جاز له أخذ الرزق على قدر الكفاية، وإن كان غنياً فالأولى أن لا يأخذ شيئاً"، من بيت المال.

عزل القاضى: من القواعد المقررة أن من يعطى السلطة يستطيع أن يسحبها[4]،ولذلك يمكن حصر أسباب عزل القضاة فى الأمور التالية:

أولاً: كان بقاء القاضى فى منصبه يتبع-فى أغلب الأحيان- بقاء أمير المدينة فى منصبه، فكثيراً ما كان الأمير الجديد يستبدل بالقاضى غيره، فعلى سبيل المثال عندما تولى مروان بن الحكم –

---

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٣، المزى: تهذيب الكمال ج٢١ص٣٢٩.
(٢) ابن سعد: الطبقات ج٥ص٣٣٦.
(٣) ابن أبى الدم:كتاب أدب القضاء ص٥٨.
(٤) د/أحمد شلبى: موسوعة الحضارة الإسلامية ج٤ص٢٩٥.

إمرة المدينة للمرة الثانية- عزل أبوسلمة بن عبدالرحمن، واستقضى مصعب بن عبد الرحمن،فلم يزل قاضياً حتى عزل مروان (سنة٥٧هـ)[١]،واستقضى إبراهيم بن هشام بن إسماعيل[٢]. الصلت بن زبيد بن الصلت[٣]، فلم يزل قاضياً حتى عزل[٤].

ثانياً:استيلاء أمير على المدينة- أثناء الصراع على الخلافة بين ابن الزبير، وآل مروان- فعندما استولى طارق بن عمرو على المدينة ، عزل طلحة بن عبد الله[٥].

ثالثاً: تأثر القاضى بمظهر وحالة الشخص المحكوم عليه، وتعويضه فى الشىء الهين اليسير من ماله الخاص، كما فعل عمر بن عبد العزيز حين عزل عبد الرحمن بن يزيد" وكان إذا اختصم إليه الرجلان، فقضى على أحدهما باليمين، فأبى أن يحلف. غرم ذلك الحق عنه "[٦]، فكلمه عمر بن عبد العزيز، فقال: "لا أستطيع غير ذلك ... فعزله"[٧].

---

(١) ابن خياط: تاريخ خليفة ص٢٢٨، وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٣.

(٢) إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى، ولى الحرمين والطائف وإمرة الموسم ، فى خلافة هشام، وبعد وفاته أقدمه الوليد دمشق، ثم دفعه إلى يوسف بن عمر، والى العراق فعذبه حتى مات (سنة١٢٥هـ) ، ابن خياط : تاريخ خليفة ص٣٦٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٧ ص ص٢٥٩، ٢٦٦، الفاسى: العقد الثمين ج٣ ص ص ٢٦٧، ٢٧٠.

(٣) الصلت بن زبيد بن الصلت الكندى، من أهل المدينة، يروى عن سليمان بن يسار، وعنه عبد العزيز بن سلمة الماجشون، ابن حبان: الثقات ج٦ص٤٧٢.

(٤) ابن خياط:تاريخ خليفة ص٣٦١،وكيع:أخبار القضاةج١ص١٦٩.

(٥) ابن خياط: تاريخ خليفة ص ص٢٥٦، ٢٩٦،وكيع:أخبار القضاة ج١ص ص١٢٣، ١٢٤، السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ص٥٠.

(٦) الفسوى: المعرفة والتاريخ ج١ص٦٤٤.

(٧) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٤.

وإذا عزل القاضى، فإن ولى المدينة كان يحاسبه، ويسأله عما كلفه به من أعمال، دل على ذلك ما جاء فى عزل نوفل بن مساحق،[1]،فقد قال له الوالى: "أين الغنم ؟ فقال:أكلناها بالخبز، قال: فأين الإبل ؟ قال: حملنا عليها الرجال"، وكان لا يصرف إلى الأمراء من الصدقات شيئا يقسمها و يطعمها الفقراء [2]. فلم يتعرض له الأمير.

وربما تعرض القاضى عند عزله للمحنة، لا لأسباب تتعلق بالعدل والأمانة، ولكن ترجع إلى الحقد والحسد، وشدة القاضى فى تنفيذ الحدود، والأخذ على يد المريب، و يتضح ذلك جلياً من خلال الأسباب التى ذكرها الرواة فى عزل أبو بكر بن عمرو بن حزم (سنة ١٠٣هـ)، وهى:

١- شكوى الأحوص[3] -والذى كان يشبب بنساء أهل

(١) نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة القرشي،كان من أشراف قريش، نشأ بالمدينة، وولي قضاءها، وكان يلي جباية الصدقات، توفى فى أول خلافة عبد الملك (سنة٧٤هـ).على الأرجح، البخارى: التاريخ الكبير ج٨ص١٠٨، الرازى: الجرح ج٨ ص٤٨٨، ابن حبان الثقات ج٥ص٤٧٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٦٢ص ص٢٩٣، ٣٠٢.

(٢) الزبيرى: نسب قريش ص٤٢٧، المزى: تهذيب الكمال ج٣٠ص٦٨.

(٣) عبد الله بن محمد بن عبد الله الأنصاري الشاعر المعروف بالاحوص، شاعر هجاء، كان معاصراً لجرير، والفرزدق. وهو من سكان المدينة، قدم على الوليد، وعمر بن عبد العزيز. ويزيد، توفى (سنة١٠٥هـ)، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٣٢ص ص١٩٧، الزركلى: الإعلام ج٤ص١١٦.

المدينة فتأذوا به-للخليفة الوليد[1] (٨٦-٩٦ هـ/٧٠٥-٧١٥م)، من تحامل ابن حزم -فى قصيدته التى مدحه بها- فكتب الخليفة بولاية عثمان بن حيان، وعزل ابن حزم واستصفاء أموالهم ، واسقاطهم جميعاً من الديوان[2]، بيد أنى لا أجد فى نفسى ميلاً لقبول هذا السبب لا لشئ إلا لأن محنة ابن حزم لم تكن فى عهده، وإنما كانت فى عهد أخيه يزيد.

٢-حقد عثمان بن حيان على أبى بكر بن حزم لإقامته الحد عليه، فلما حمل رأس بعض الخارجين على الخليفة يزيد بن عبد الملك [3](١٠١-١٠٥هـ/٧٢٠-٧٢٤م)، طلب منه أن تكون مكافئته أن يقيده من ابن حزم، فأبى الخليفة، وأصر عثمان، فكتب الخليفة إلى عبد الرحمن الضحاك[4] -عامله على المدينة- بقوله: "

---

(١) الوليد بن عبد الملك، ولد فى (سنة٥٠هـ)و بويع له بالخلافة بعد أبيه فى (سنة ٨٦هـ) فكان عصره غرة فى جبين الدولة الأموية، فتحت فيه فتوحات كثيرة، وأهتم بالعمارة، ورعاية المجذومين، واتخذ البيمارستان للمرضى، وتوفى (سنة٩٦هـ)، الذهبى: سير أعلام ج٤ ص ص ٣٤٧، ٣٤٨، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ص٢٦٥، ٢٦٨.

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ص٦٢٢، وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٨.

(٣) يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولد بـ (دمشق) فى سنة إحدى أو اثنتين وسبعين، وكان يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلى الخلافة فى رجب (سنة١٠١هـ)، وأراد فى خلافته أن يسير سيرة عمر بن عبد العزيز، فما تركه قرناء السوء، وحسنوا له الظلم، توفى بـ(حوران) (سنة١٠٥هـ)، المسعودى: التنبيه والأشراف ص ص٢٧٧، ٢٧٨، القلقشندى: مآثر الأنافة ج١ ص ص ١٤٥، ١٤٧، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ص ٢٩٤ ، ٢٩٥.

(٤) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس بن خالد بن وهب بن ثعلبة، من سروات قريش وكرمائها، ولاه يزيد بن عبد الملك المدينة والموسم، الزبيرى: نسب قريش ص ٤٤٧، الفاسى : العقد الثمين ج٥ ص ص٣٥٩، ٣٦٢.

انظر فيما ضرب ابن حزم ،ابن حيان؛ فإن كان ضربه في أمر بين فلا تلتفت إليه، وإن كان ضربه فى ظلم بين فأقده منه" [١].

٣- أن ولى المدينة، عبد الرحمن الضحاك، كان يتربص بابن حزم- بعد عزله- الدوائر، فلما جاءه ليسلم عليه و يهنئه بالأمارة، ظهرت منه جفوة، فخاف ابن حزم على نفسه فاعتزله. فبلغه أن الأمير يقول:" ما يمنع ابن حزم أن يأتيني إلا الكبر، وإني لعالم بخيانته" فأرسل إليه ابن حزم بقوله:" ما الخيانة لي بعادة، وما أحب أهلها، والأمير يحدث نفسه بالخلود في سلطانه ... فاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة"، فلم يزل الأمر يترقى بينهما حتى خاصم عليه رجل فى قضية، فأرد أن يعاقب ابن حزم عليها ، ولكنه لم يجد على ذلك سبيل[٢] .

فلما قدم كتاب الخليفة على عبد الرحمن بن الضحاك. قال:لابن حيان "ما جئت بشيء أترى ابن حزم يضربك في أمر يختلف فيه" [٣]، فقال له:"إن أردت أن تحسن أحسنت، قال: الآن أصبت المطلب، فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزم، فضربه حدين في مقام واحد ،ولم يسأله عن شيء" [٤]، ظلماً وعدواناً، فى باطل، فما بقى شاعر من أهل المدينة إلا هجاد، ولا صالح إلا عابه، وأتاد بكل قبيح[٥].

---

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٤٢، التميمى: المحن ص٣١٥، تحقيق د/ يحيى وهيب، ط/ ٢،دار الغرب الإسلامى، بيروت، سنة ١٤٠٨هـ.

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ص ٥٧٤، وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٤٢.

(٣) التميمى: المحن ص٣١٥ .

(٤) الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ص ٥٧٥، وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٤٢.

(٥) الطبرى: تاريخ الرسل ج٧ص١٤.

وكان القاضى إذا عزل عن منصبه، لم يزل الناس- ممن أدبهم أو أقام عليهم الحد- ينالون منه، فلم عزل سعد بن إبراهيم إذا بهم يثنون عليه خيراً، يقولون:"أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق. وفعل بك، وفعل بك"[1]، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على ما كان يتمتع به من هيبة ووقار بين أفراد المجتمع.

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص ص ١٥٧، ١٥٨، الأصفهانى: الأغانى ج٦ص٢٠.

الفصل الثانى
"مجلس القضاء"

كان مجلس القضاء فى هذا العصر يشبه المحكمة - فى العصر الحديث- إلا أنه يختلف عنها فى أنه كان يجوز للقاضى أن يجلس حيث أحب لأن عمله لا يختص بموضع أو مكان معين[1]، بشرط أن يقدر"على أنفاذ حكمه، وقطع الخصومة"، إلا أنه من الأفضل أن يقضى فى المسجد الجامع، لأنه أسهل على المجالس، وأرفقه بالناس، وأحرى ألا يخفى على من أراد مجلس القاضى، وجلوسه فى مسجد حيه، أو بيته لا يضر[2].

من أجل ذلك اتخذ قضاة هذا العصر من حرم مسجد رسول الله-ﷺ- مكاناً لعقد مجالسهم القضائية، فبعضهم كان يستند إلى أحد الأعمدة، وبعضهم كان يجلس فى مؤخرته، فعلى سبيل المثال كان عمر بن خلدة يقضى فى المسجد، ومثله سعد بن إبراهيم[3]، بينما كان أبو بكر بن حزم يجلس فى مؤخرة المسجد، وفى أحيان أخرى كان يستند إلى أحد الأعمدة إذا لم يكن عنده خصوم[4]. فإذا جاءه الخصوم قضى بينهم، وهذا يدل على أن جلسات القضاء كانت علنية، فالمسجد مفتوح للجميع، لا يمنع أحد من دخوله.

وحرصاً على مصالح الناس، فقد كان على القاضى ألا يبرح مجلسه، حتى وإن لم يكن عنده ما ينظر فيه من القضايا، وإذا أراد

---

(١) محمود عرنوس: تاريخ القضاء فى الإسلام ص ١٢٦.

(٢) الخصاف: كتاب أدب القاضى ص٨٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٥ص٣٣٥، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج١٠ص٢٤٤.

(٤) البخارى: التاريخ الكبير ج١ص٤٧، الرازى: الجرح ج٧ص٢١٢، المزى: تهذيب الكمال ج٢٤ص٥٣٩.

أن يخرج فى موكب أو يذهب فى حاجة، أو يفرغ لعباده، لا يذهب حتى يستأذن من الأمير [1].

معاونو القاضى:

١- الشرطة: وكانت مهمتهم تشتمل على تنفيذ الأحكام القضائية، وإقامة الحدود، ومساعدة القضاة فى إثبات التهم، أو نفيها[2]، أضف إلى ذلك أنه كان يعاون القاضى فى مجلسه جماعة منهم، يقفون على رأسه، ومعهم السياط" يذبون الناس بها" [3]عنه، أو يأدبون من تسول له نفسه هتك حرمة القضاء، فعندما تطاول أيوب بن سلمة[4]- خال أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك-على عبد الله بن صفوان - بعد أن قضى عليه- قال عبد الله بن صفوان:" لحرسى على رأسه أمزق ثياب ابن سلافة، ثم برزة[5]، فضُرب سبعين سوطاً" [6].

كذلك قد يستعين القاضى بمولاه للقبض على بعض المتهمين. كما فعل سعد بن إبراهيم، حين أرسل مولاه ليأتيه بالحارثى الذى سب صحابى من أصحاب رسول الله-ﷺ-و توعده بالعقاب الشديد

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ص٥٠٥، وكيع: أخبار القضاة ج١ص ص١٤١، ١٤٥.

(٢) د/عطية مشرفة: القضاء فى الإسلام ص١٤٩.

(٣) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٤٥.

(٤) أيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد ، كان من جلة قريش وشيوخها، وأمه أم ولد؛ وأمه وأم عمر بن مصعب، أختان من ولادة العجم، الزبيرى: نسب قريش ص٣٣٠، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج١٠ص٩٩.

(٥) البَرازُ: بالفتح المكان الفضاء من الأرض البعيدُ الواسعُ وإذا خرج الإنسان إلى ذلك الموضع قيل: قد بَرَزَ يَبْرُزُ بُرُوزا، اي خرج إلى البَراز، ابن منظور: لسان العرب مادة:(ب ر ز).

(٦) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٧٣.

إن أفلت منه[1]، فى حين كان بعض القضاة مهيباً صارماً- لا يستعين بأحد من أفراد الشرطة- فى مجلسه، كعمر ابن خلدة، و الذى يقول عنه ابن أبى ذئب[2]:" حضرته يقول: للخصم اذهب يا خبيث فاسجن نفسك، فذهب ليس معه حرسى حتى أتى السجان فحبس نفسه" [3].

٢- الكاتب: وكان يجلس على باب المسجد يأخذ الرقاع التى يقدمها الخصوم، وفيها اسم المدعى واسم أبيه، واسم خصمه واسم أبيه حتى يأتى القاضى، فإذا كانت الرقاع كثيرة فرقها على الأيام كل يوم بقدر طاقة القاضى للجلوس والصبر عليهم[4]، بالإضافة إلى قيامه بتدوين الأحكام، التى يصدرها القاضى، حفظاً للحقوق، و لتكون مرجعاً للقاضى- أو لمن يأتى بعده- ومن أشارت المصادر إلى أسمائهم من الكتّاب، الصباح بن ناجية[5]، كاتب سعد بن إبراهيم[6].

---

(١) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٥ص٤٢.

(٢) ابن أبى ذئب محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة، ولد (سنة ٨٠هـ)، سمع عكرمة، والزهرى، وغيرهما، كان فقيها ورعا صالحا ثقة يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ألف كتابا كبيرا فى السنن، أقدمه المهدى بغداد، فحدث بها، توفى (سنة ١٥٩هـ)، البخارى: التاريخ الصغير ج٢ ص ١٢٢، الخطيب: تاريخ بغداد ج٣ص ص٩٧، ١٠٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٥ص٣٣٥، السخاوى: التحفة اللطيفة ج٢ص٣٣٧.

(٤) الخصاف: كتاب أدب القاضى ص٥٣، د/أحمد شلبى: موسوعة الحضارة الإسلامية ج٤ص٢٦٣.

(٥) لم أعثر له على ترجمة فيما رجعت إليه من المصادر.

(٦) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٥٩.

ومما يدل على تدوين الأحكام-وإن لم يعرف من بدأ به من قضاة المدينة[1]- ما كتب به أبان ابن عثمان إلى الخليفة عبد الملك بن مروان بقوله:"إن أبا عَبْد الله بن الزبير قضى بين الناس بأقضية، فما يرى أمير المؤمنين فيها ؟ أمضيها أم أردها ؟ فكتب عَبْد الملك إلَى أبان بْن عثمان؛ أنا والله ما عبنا على ابن الزبير أقضيته، ولكن عبنا عليه ما تناول من الأمر؛ فإذا أتاك كتابي هَذا فأنفذ أقضيته، فإن ترداد الأقضية عندنا يتعسر" [2]، وهذه الرواية تدل علىما يلى:

أولاً: أن الأحكام كانت تدون فى سجلات خاصة بها، وإلا كيف يستطيع أبان أن ينظر فى تلك الأحكام مرة ثانية؟.

ثانياً: أن هذه السجلات كان تحفظ فى مكان خاص بها أمين -ربما كان فى دار الإمارة- يمكن الرجوع إليها فيه.

ثالثاً: احترام الخليفة للأحكام التى قضى بها عبد الله بن الزبير، وحكمته فى عدم فتح باب النقض- بلا سبب ولا حجة- أمام الولاة، مما يؤدى إلى ضياع هيبة القضاة والقضاء .

يضاف إلى ما سبق أن سعد بن إبراهيم اجتهد فى حكم، ثم تبين له أنه يخالف حديث رسول الله-ﷺ-" فدعا سعد بكتاب القضية فشقه، وقضى للمقضي عليه" [3].

مصادر الأحكام: سار القضاة- فى استنباط الأحكام- على ما كانوا عليه فى زمن الخلفاء الراشدين ، إذ كان القضاة مجتهدون،

---

(١) كان أول من دون القضاء فى مصر سليم بن عتر التجيبي (ت٧٥هـ)، الذهبى: سيرأعلام النبلاء ج٤ص١٣٢.

(٢) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٠.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٠ص٢١٦،المزى: تهذيب الكمال ج١٠ص٢٤٥، الذهبى: سير أعلام ج٥ ص٤٢.

لا يقلدون أحداً فى أحكامهم، لأن التقليد لم يكن معروفاً فيهم[١]، كما أن المذاهب الفقهية لم تكن قد دونت بعد، وإنما كانت فى طور النشأة و التكوين، فكان للقاضى الحرية التامة فى الفصل فى الدعاوى – التى تعرض عليه– بالرأى الذى يراه وفق اجتهاده[٢]، أو بما يشير به المفتون من كبار المجتهدين فى أمصارهم، [٣]. وفى بعض الأحيان كانوا يطلبون من الخلفاء بيان أرآهم فى قضايا مختلفة إذا اشتبه عليهم الأمر، ولذلك كانت الأحكام يخالف بعضها بعضاً فى الأمصار المختلفة، لأن المجتهدين لم يكونوا على رأى واحد، ولم تلتفت الدولة إلى التفكير فيما يجمع كلمة المجتهدين على شئ يقضى به قضاتهم[٤].

فإذا ما عرضت على القاضى قضية، نظر هل يجد فيها حكماً منصوصاً عليه فى كتاب الله عز وجل، لم ينسخ؟ فإن وجد عمل به، وإن لم يجد؟ نظر فى سنة رسول الله–ﷺ –[٥]، فإن لم يجد؟ أو لم يعرف؟ سئل أصحاب رسول الله–ﷺ– الموجودين فى عصره، و بعد عصرهم كان يقضى بما أجمع عليه الصحابة، فإن لم يجد فى الإجماع اجتهد رأيه[٦]، و قضى به[٧]، ويتضح ذلك مما يلى:

---

(١) محمد الخضرى: الدولة الأموية ص٣١٩، أنور العمروسى: التشريع و القضاء ص٨٤.

(٢) د/عطية مشرفة: القضاء فى الإسلام ص١٤٨، د/أحمد شلبى:موسوعة الحضارة الإسلامية ج٤ ص٣٠٨.

(٣) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٤٤.

(٤)د/عطية مشرفة: القضاء فى الإسلام ص١٦٩، د/محمود زيادة: الدولة الأموية ص٤٤٨.

(٥) الخصاف:كتاب أدب القاضى ص٣٧.

(٦) الخصاف:كتاب أدب القاضى ص٣٧، السخاوى: التحفة اللطيفة ج٢ص٣٣٧.

(٧) د/عطية مصطفى مشرفة: القضاء فى الإسلام ص١١٥.

أولاً: روى عن عمر بن خلدة الزرقي -وكان قاضي المدينة- أنه قال: "جئنا أبا هريرة[1] في صاحب لنا قد أفلس فقال: هذا الذي قضى فيه رسول الله-ﷺ-: **أيما رجل مات أو أفلس فصاحب المتاع أحق بمتاعه إذا وجده بعينه**" [2]،"إلا أن يدع الرجل وفاء" [3].

ثانياً: كان بعض القضاة يقدم عمل أهل المدينة، وإجماعهم- فى مسائل الاجتهاد- على الأحاديث الصحيحة التى تتعارض معها، كأبى بكر بن حزم، و آية ذلك أن قائلاً قال له: " ما أدرى كيف أصنع بالاختلاف؟ فقال أبو بكر: يا ابن أخى إذا وجدت أهل المدينة على أمر مستجمعين عليه فلا تشك أنه الحق" [4]، وعلى هذا النهج سار ابنه محمد - حين ولى القضاء-" فكان إذا قضى بالقضاء مخالفاً للحديث، يقول له أخوه عَبْد الله[5]- وكان

---

(١) أبوهريرة كان من كبار الصحابة وفقهائهم، اختلفوا فى اسمه، فقيل: عبد عمرو بن عبد غنم، ويقال: عبد شمس، ويقال: عمير، أو عبد الله بن عامر، من قبيلة دوس اليمنية، كنى بأبى هريرة، بهرة كان يلعب بها، قدم المدينة والنبى-ﷺ- بخيبر، فسار اليه، حتى قدم معه، وروى عنه أحاديث كثيرة، وتوفى (سنة٥٩هـ) بالمدينة. ابن خياط: الطبقات ص١٩٢، ابن قتيبة : المعارف ص ٢٧٧ ،٢٧٨، ابن كثير: البداية ج٨ ص ص ١٠٧ ،١١٨.

(٢) الإمام الشافعي: مسند الشافعي ج١ص٣٢٩، الحديث رقم ١٥٢٧، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت).

(٣) المزى: تهذيب الكمال ج٢١ص٣٣٠.

(٤) وكيع: أخبار القضاة ج١ص ص١٤٣، ١٤٤، المزى: تهذيب الكمال ج٣٣ص١٤١.

(٥) عبد الله بن أبي بكر بن محمد الأنصاري، ، روى عن انس، وعروة، وعنه الزهري، ومالك، وكان رجل صدق كثير الأحاديث ثقه، توفى (سنة١٣٥هـ)، الرازى: الجرح ج٥ص١٧، الذهبى: تاريخ الإسلام ج٨ص٤٥٩.

رجلاً صالحاً-: أي أخي أين أنت عَن الحديث أن تقضي به ؟ فيقول: أيهات فأين العمل ؟ يعني ما اجتمع عليه بالمدينة"[1].

ثالثاً:كان بعض القضاة يقضى باليمين مع الشاهد[2] الواحد بأن يستحلف صاحب الحق، كنوفل بن الحارث، وأبى سلمة بن عبدالرحمن[3]، وأجاز أبو بكر بن حزم شهادة الابن لأمه [4]، كما أنه سئل القاسم بن محمد[5] عن شهادة عنده لرجل، فلم يذكرها القاسم عنده، ثم تذكرها-بعد مدة- "فأخبره أنه قد ذكرها، ثم أخبره بها؛ فأجاز أبو بكر شهادته، وقال: إنما أنت فنستجيز شهادتك. وإن

---

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٧٦.

(٢) كان أول من قضى باليمين مع الشاهد، أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان، الشبلى: محاسن الوسائل ص٢٢٤، تحقيق د/محمد ألتونجى،ط/١، دار النفائس، بيروت، سنة١٤١٢هـ.

(٣)وكيع: أخبار القضاة ج١ص ص١١٥، ١١٨.

(٤) اختلف في شهادة الولد لوالده والعكس فمنع من ذلك، مالك، والشافعية، والحنفية، وعللوا بالتهمة فكان كالقانع-وهو الخادم المنقطع إلى الخدمة-وقال: عمر ابن الخطاب،وابن المنذر، والشافعي في قول له، أنها تقبل لعموم قوله تعالى { ذوي عدل }، سورة الطلاق:لآية٢، الشوكانى: نيل الأ وطار ج٨ ص ٢٩٢، مكتبة دار التراث،(د.ت).

(٥) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، من سادات التابعين،ولد في خلافة عثمان، ونشأ بعد قتل أبيه في حجر عمته أم المؤمنين عائشة، وسمع منها، ومن ابن عباس، وكان فقيها إماما مجتهدا ورعا عابدا ثقة حجة، روى له الجماعة، توفى (سنة١٠٧هـ). ابن حبان: الثقات ج٥ص٢٠٥، الذهبى: تاريخ الإسلام ج٧ص ص٢١٧، ٢٢٣.

كان غير القاسم ما أجزنا شهادته لرضاهم به" [1]، كما أنه كان "يقل الوكالة[2] من الخصم وهو حاضر المصر لا علة به" [3].

وأما محمد بن صفوان، فقد "جاءه ابن شهاب[4] في خصومة له، وجاء بأخيه، أي يشهد له[5]؛ فقال: خصمه: إن شاهده أخوه، فأمر به فوجئ في عنقه، وأجاز شهادته لأخيه" [6].

كذلك كان بعض الخلفاء يكتب إلى القاضى برد شهادة بعض الناس، فيمتثل أمره، وآية ذلك ما روى عن سعد بن إبراهيم من أنه رد شهادة مروان بن أبان بن عثمان[7]، فسأله ابنه عن السبب،

---

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٤٤.

(٢) الْوَكَالَةِ: التَّفْوِيضُ وَالْحِفْظُ، تَقُولُ وَكَلْتُ فُلانًا: إِذَا اسْتَحْفَظْتَهُ وَوَكَلْتُ الأَمْرَ إِلَيْهِ بِالتَّخْفِيفِ: إِذَا فَوَّضْتَه إِلَيْهِ، وَهِيَ فِي الشَّرْعِ: إِقَامَةُ الشَّخْصِ غَيْرَهُ مَقَامَ نَفْسِهِ مُطْلَقًا أَوْ مُقَيَّدًا، الشوكانى: نيل الأوطار ج٥ ص ص٢٦٨، ٢٦٩.

(٣) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٩.

(٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى، من أئمة الإسلام، ولد فى (سنة٥٠هـ)، وقيل: سنة (٥٨هـ)، روى عن ابن عباس، وأنس، وعنه، وعطاء، والليث، رحل من المدينة إلى عبد الملك فكان معه، ثم صار من خاصة ابنيه يزيد، وهشام. توفى (سنة١٢٤هـ)، ابن قتيبة: المعارف ص ٤٧٢، ابن كثير: البداية ج٩ ص ص٣٥٤، ٣٥٨، ابن تغرى بردى: النجوم ج١ ص ص ٢٩٤، ٢٩٥، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت).

(٥) قال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن شهادة الأخ لأخيه جائزة، ابن المنذر: الإجماع ص٨٨، تحقيق د/أبو حماد صغير،ط/٢، مكتبة الفرقان، سنة١٤٢٠هـ.

(٦) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٦٩.

(٧) مروان بن أبان بن عثمان بن عفان؛ أمه أم ولد، تزوج من أم القاسم بنت الحسن بن الحسن، فولدت له محمد بن مروان، الزبيرى: نسب قريش ص ص٥٣، ١٣٠.

فقال له: "إن أمير المؤمنين يزيد بْن عَبْد الملك كتب إلينا أن نرد شهادة الحمقى، وإن أباك من الحمقى"، و كذلك لم يكن يقبل شهادة من يبول قائماً، فى حين نراه يجيز شهادة ضعيف العقل ما لم يتهم بالكذب، و يقول له: " لولا أني سمعت أنه كان يقال: يدخل الجنة كذا وكذا من هذه الأمة قلوبهم في الضعف على مثل قلوب الطير لعاقبتك، ولكني أظنك منهم" (١).

رابعاً: كان بعض القضاة يستشير العلماء و الفقهاء فيما يعرض عليه من القضايا ثم يقضى بما أفتوه به(٢)، فعلى سبيل المثال عرضت دعوى على أبى بكر بن حزم، فأرسل إلى ابن المسيب(٣)، وأبى بكر بن عبد الرحمن (٤) يسألهما عن رأييهما فيها، فأفتاه بما قضى به(٥)، وشهد غلام(٦) عند سلمة بْن عَبْد الله

(١)وكيع: أخبار القضاة ج١ص ص١٥٦، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥.

(٢) الخصاف:كتاب أدب القاضى ص٣٩.

(٣) سعيد بن المسيب بن حزن، ولد فى خلافة عمر، فقيه الفقهاء، وعالم العلماء، وهو أحد الفقهاء السبعة، روى عن عثمان، وعلى، وعنه جماعة من التابعين، قال ابن حنبل:"ابن المسيب أفضل التابعين"،توفى بالمدينة(سنة٩٣هـ)،وقيل:(سنة ٩٤هـ)، ابن سعد:الطبقات ج٥ص ص١٠٦،٨٨،ابن خياط:الطبقات ص٤٢٥.

(٤) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى، كنيته اسمه، من سادات التابعين، و أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ولد في خلافة عمر بن الخطاب، وكان عبد الملك يكرمه، وتوفي (سنة٩٤هـ)، ابن حبان:الثقات ج٥ص ٥٦٠، الذهبى: تاريخ الإسلام ج٦ص ص ٥١١، ٥١٤، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج١٠ ص ص٣٤، ٣٥.

(٥) الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ص٥٧٤.

(٦) كان أول من قضى بشهادة الغلمان، مروان ن الحكم، الشبلى: محاسن الوسائل ص٢٩٠.

المخزومي[1]- وهو قاضي المدينة -" فتصاغره؛ فسأل القاسم وسالما[2] عَن إجازته شهادته؛ فكلاهما قال: إن كان أنبت الشعر فأجز شهادته" [3]، فى حين كان بعض القضاة يحرص على أن يشهد مجلس قضائه جماعة من الفقهاء، مثل عمر بن خلدة الذى كان يحضر معه خارجة بن زيد[4]، وربيعة بن عبد الرحمن[5].

وفى بعض الأحيان كان القاضى يقضى برأى بعض المجتهدين -من السلف- ثم يصح عنده حديث لرسول الله-ﷺ- فيرجع إليه، كما فعل سعد بن إبراهيم، فقد قضى على رجل برأي ربيعة بن أبي عبد الرحمن فأخبره ابن أبى ذئب عن رسول الله-ﷺ- بخلاف ما قضى به، فقال سعد:" لربيعة هذا ابن أبي ذئب.

---

(١) سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة المخزومي، روى عن أم سلمة، وعن جده عمر، وله صحبة، وعنه عطاء، وعمرو بن دينار، ذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحا، وذكره ابن حبان في ثقات أتباع التابعين، الرازى: الجرح ج٤ ص١٦٦، ابن حبان: الثقات ج٦ ص٣٩٩، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٣ص٤٣٥.

(٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، ولد فى خلافة عثمان، وسمع أباه وأبا هريرة وغيرهما، وعنه الزهرى، وعمرو بن دينار، وفد الشام على عبد الملك، و الوليد، و عمر، وكان كثير الحديث ثقة، توفى (سنة١٠٧هـ)، ابن خياط: الطبقات ص ٤٢٧، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٤ ص ص ٤٦٧،٤٥٧، ابن كثير: البداية ج٩ ص ٢٤٣.

(٣) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٤٨.

(٤) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصارى، كان عالما بالفرائض، وتقسيم المواريث، وهو أحد الفقهاء السبعة توفى (سنة ١٠٠هـ)،ابن سعد: الطبقات ج٥ ص ص ١٩٣، ابن خياط: الطبقات ص ٤٣٧، ابن كثير: البداية ج٩ ص ١٩٥.

(٥) السخاوى: التحفة اللطيفة ج٢ص٣٣٧.

وهو عندي ثقة يحدث عن النبى -ﷺ- بخلاف ما قضيت به، فقال له ربيعة: قد اجتهدت ومضى حكمك، فقال سعد:وأعجباً أنفذ قضاء سعد، وأرد قضاء رسول الله-ﷺ-بل أرد قضاء سعد بن أم سعد، وأنفذ قضاء رسول الله-ﷺ-فدعا سعد بكتاب القضية فشقه، وقضى للمقضي عليه"[1]، ويتضح لنا من هذا النص عدة أمور:

أولاً: اجتهاد القاضى فى الأخذ بآراء العلماء المجتهدين عند عدم معرفته بنص صحيح من القرآن و السنة.

ثانياً:رجوع القاضى إلى السنة الصحيحة ، متى ثبتت لديه. و عدم الاعتداء بآراء المجتهدين، إذ أن السنة لم تكن دونت بعد، فكان بعض العلماء يحفظ ما لا يحفظه الآخر.

ثالثاً: إن القاضى كان يقوم بتدوين الأحكام التى يصدرها فى صحائف حفاظاً على الحقوق، ولتكون مرجعاً للقاضى، و لمن يأت من بعده.

رابعاً: هذه الوقائع وأمثالها ترينا مقدار ما كان للقضاء من حرية فى القول، والاجتهاد، والعمل، لم يصل إليها أرقى الأمم إلى يوم الناس هذا.

ولما كان الإفتاء قرين القضاء،فإننا نستطيع أن نتلمس منهج بعض القضاة فى العمل من خلال الوصايا التى وردت عنهم، ومن هؤلاء أبو سلمة بن عبد الرحمن، الذى قال: للحسن بن الحسن[2]-

---

(١) ابن عساكر:تاريخ دمشق ج٢٠ص٢١٦، المزى: تهذيب الكمال ج١٠ص٢٤٥، الذهبى: سير أعلام ج ٥ص٤٢.

(٢) الحسن بن أبي الحسن واسمه يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ولد فىخلافة عمر، ورأى عشرين ومائة من الصحابة،وكان الحسن من أفصح أهل البصرة لسانا، وأجملهم وجها، وأعبدهم عبادة، وأحسنهم عشرة، وأنقاهم بدنا،

أثناء زيارته للبصرة[1]-"ما كان بهذا المصر،أحد أحب إلي أن ألقاد منك،وذلك انه بلغني أنك تفتي الناس،فاتق الله يا حسن،وافت الناس بما أقول لك: أفتهم بشئ من القرآن قد علمته،أو سنة ماضية قد بينتها الصالحون والخلفاء، وانظر رأيك الذي هو رأيك فالقه"[2].

أدب القاضى: ومما تجدر الإشارة إليه، أن هناك بعض الأحاديث وردت عن رسول الله-ﷺ- تنظم عمل القاضى، وتبين ما ينبغى أن يتحلى به من الآداب فى مجلسه، و هى:

١- الوصية بسماع الخصوم، وعدم العجلة فى الحكم. حتى يتضح له الحق، كما قال -ﷺ-لعلى بن أبى طالب -حين بعثه إلى اليمن-" **فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء** " [3].

٢- نهى القاضى عن الحكم فى حال الغضب، حتى لا يقضى بغير الحق بسبب التغير الذى طرأ على مزاجه[4]، و ذلك قوله -ﷺ -" **لاَ يَقْضِيَنَّ أَحَدٌ فِى قَضَاءٍ بِقَضَاءَيْنِ وَلاَ يَقْضِى أَحَدٌ بَيْنَ خَصْمَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ** " [5]، ويقاس على الغضب " كل ما يحصل به تغير الفكر

توفى(سنة١١٠هـ)، البخارى: التاريخ الكبير ج٩ ص٢٢٨،ابن كثير: البداية ج٩ص ص٢٧٨، ٢٧٩.

(١) البصرة: في كلام العرب الأرض الغليظة، وهى من مدن العراق التى تم إنشائها فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(سنة١٤هـ)، ياقوت:معجم البلدان ج١ ص ص٤٣٠. ٤٣٣،ط/٢، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٩٥م.

(٢) الفسوى: المعرفة والتاريخ ج١ص٥٦٠، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٩ص٣٠٦.

(٣) أبو داود: السنن ج٢ص٣٢٥، الحديث رقم٣٥٨٢، الشوكانى: نيل الأوطار ج٨ص٢٧٥.

(٤) الخصاف:كتاب أدب القاضى ص٩٥.

(٥) النسائى:سنن النسائى ج٢ص٤٨٢، الحديث رقم٥٩٨٣.

كالجوع والعطش المفرطين، وغلبة النعاس، وسائر ما يتعلق به القلب تعلقا يشغله عن استيفاء النظر، وهو قياس مظنة، وكأن الحكمة في الاقتصار على ذكر الغضب لاستيلائه على النفس وصعوبة مقاومته بخلاف غيره" (١).

٣- التسوية بين الخصوم فى الإقبال عليهم، والنظر فى أمرهم، و لا يضحك فى وجه أحدهما، ولا يهمس إليه بشىء دون خصمه، ويسوى بينهم فى الجلوس، ورفع الصوت(٢)، لقوله:- ﷺ-"من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فليساوي بينهم في المجلس في الإشارة والنظر ولا يرفع صوته على أحد الخصمين أكثر من الأخرى" (٣).

و لذلك عندما رفعت لنوفل بْن مساحق دعوى ضد مروان بن الحكم-والى المدينة- أو بعض ولده، أرسل إليه:"أن أخرج إلى الرجل من حقه،أو يحضر معه خصمه؛ فأرسل إليه مروان: أن انظر أنت في ذلك، فإن ثبت له حق فأنفذ الحكم، فسلم إليه حقه؛ فأرسل إليه أحضر أنت، أو خصمه ليكون الحكم لك أو عليك"؛ فعوض مروان المدعي من دعواه حتى رضي، ولم يحضر معه خصمه(٤).

ومن هذا يتبين لنا أنه لا فرق بين حاكم أو محكوم، أو غنى أو فقير أمام القضاء، فضلاً عن حرص القاضى على سماع حجة المدعى والمدعى عليه، ليكون حكمه صائب لا تشوبه شائبة ظلم، الأمر الذى

(١) الشوكانى: نيل الأوطار ج٨ص٢٧٣.
(٢) الخصاف:كتاب أدب القاضى ص٩٥، د/أحمد شلبى: موسوعة الحضارة الإسلامية ج٤ ص ص٢٦١، ٢٦٢.
(٣) الطبرانى:المعجم الكبير ج٢٣ص٣٨٦، الحديث رقم٩٢٣، تحقيق/حمدى عبد المجيد، ط/٢،مكتبة العلوم، الموصل.
(٤) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٢٧.

جعل الوالى يسترضى المدعى، ويدفع إليه حقه دون أن يذهب للقاضى.

كذلك كان أبو بكر بن حزم يقل الوكالة من الخصم، وهو حاضر المصر لا علة به[1]، حرصاً على تحقيق العدالة بسماع الحجة من الخصم نفسه.

أنواع الأقضية: لم يكن القاضى ينظر فى القضايا التى تنشب بين الأحرار وحدهم فحسب، وإنما كان ينظر فيها، وفى القضايا التى تكون بينهم وبين العبيد، أو بين العبيد بعضهم البعض، وقد أشارت المصادر – التى رجعت إليها– إلى بعض تلك القضايا، و ما صدر فيها من أحكام، والتى شملت الحدود، والمواريث، والتفريق بين الزوجين، والنظر فى الصدقات، فعلى سبيل المثال: قضى أبو بكر بن حزم ، فى مسلم قتل ذمى غيلة، بقتله[2]،وخرج جماعة من غلمان المدينة يتنزهون بالعقيق[3]،فصعد غلام منهم فوق قصر، فرماه غلام بحجر؛ فسقط فوقع ميتاً، فأحلف مُحَمَّد بْن أبي بكر أولياءه قسامة[4] خمسين رجلاً؛ لقد صعد فيْهِ حياً، ورمى حياً، وبه سقط، ومن سقوطه مات، فألزمهم الدية[5].

---

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٩.

(٢) وكيع: أخبار القضاة ج١ص ص١٢٧، ١٣٩ .

(٣) العقيق:(بفتح أوله وكسر ثانيه وقافين بينهما ياء مثناة من تحت) مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه، وهو على ثلاثة أميال، أو ميلين، وقيل: ستة،أو سبعة من المدينة، هما عقيقان: الأصغر: وفيه بئر رومة، والعقيق الأكبر: بعد هذا وفيه بئر عروة، ياقوت: معجم البلدان ج٤ص ص١٣٨، ١٣٩.

(٤) القَسَامَةِ:هِيَ مَصْدَرُ أَقْسَمَ ، وَالْمُرَادُ بِهَا الأَيْمَانُ وَاشْتِقَاقُ الْقَسَامَةِ مِنْ الْقَسْمِ كَاشْتِقَاقِ الْجَمَاعَةِ مِنْ الْجَمْعِ، وهى عِنْدَ الْفُقَهَاءِ اسْمٌ لِلأَيْمَانِ، وَعِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ اسْمٌ لِلْحَالِفِينَ وَقيل:إنها الأيْمَانُ،وقيل: إنَّهَا فِي اللُّغَةِ الْجَمَاعَةُ ثُمَّ أُطْلِقَتْ عَلَى الأَيْمَانِ، الشوكانى: نيل الأوطار ج٧ ص ٣٥.

(٥) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٧٧.

وكذلك قذف عبد حرة، أو حراً، وأبُو بكر بْنْ حزم- على قضاء المدينة- فجلده ثمانين جلدة [1]،وجاء عَبْد الله بْن عَمْرو بْن عُثْمَان[2] لأبى بكر بن حزم بالبينة؛ أن عثمان بن حيان قال له:"يا لوطي" فأقام عليه حد القذف[3].

أضف إلى ذلك حرص القضاة على تأديب كل من يتعرض لأصحاب رسول الله-ﷺ- بنقض أو تجريح لبعض أعمالهم سواء أكان ذلك تصريحاً أم تلميحاً، ومن هؤلاء سعد بْن إبراهيم الذى كان فى مجلس ابن هشام المخزومي- أمير المدينة-فاختصم عنده يوما ابن محمد بن مسلمة[4]، وآخر من بني حارثة، فَقَالَ: "ابن مُحَمَّد أنا ابن قاتل كعب بْن الأشرف[5]"؛ فقال الحارثى: "والله ما قتل

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٩.

(٢) عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وقيل: عبد الله بن عمر،لقب بالعرجى لأنه كان يسكن العرج وهو منزل بطريق مكة، كان بطلا، مجاهداً، شجاعا،كان يهجو إبراهيم بن هشام المخزومى، فأخذ فحبسه،فمات فى خلافة هشام بالسجن، الزبيرى : نسب قريش ص ١١٨، الذهبى:سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٦٨.

(٣) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٤٢.

(٤) محمد بن مسلمة الأنصاري، أسلم بالمدينة على يدي مصعب، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله-ﷺ-،خلا تبوك لأنه استخلفه على المدينة، شهد فتح مصر، وكان عمر يبعثه فى مقاسمة عماله، واعتزل الفتن،وتوفي (سنة٤٣هـ)على الأرجح ، ابن سعد:الطبقات ج٣ص ٤١٧، ٤٢١، ابن حجر: الإصابة ج٦ص ص٣٣، ٣٤.

(٥) كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان: شاعر جاهلي،كانت أمه من"بني النضير" فدان باليهودية،وكان سيداً في أخواله،أدرك الإسلام، ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي-ﷺ-، وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، وخاصة بعد وقعة "بدر"، فأمر

إلا غدراً، فانتظر سعد أن يغيرها ابن هشام فلم يفعل حتى قام؛ فلما استقضى سعد قَالَ: لمولاه -وكان يحرسه- أعطي الله عهداً لئن أفلتك منك الحارثي لأوجعنك ضرباً؛ قَالَ: "فصليت معه الصبح، ثم جئت سعداً، فلما نظر إليه سعد قال: شق القميص، ثم قال: أنت القائل: إنما قتل ابن الأشرف غدراً ؟ ثم ضرب خمسين ومائة، وحلق رأسه ولحيته، ثم قال: والله لأقومنك بالضرب ما كان لي عليك سلطان" (١)(٢).

وعندما عزل عثمان بن حيان عن إمرة المدينة- وجد في داره قوارير فيها شراب ، فقال له ابن حزم:" كنت تشرب من هَذَا ؟ قال: نعم؛ فضربه الحد" (٣).و ذكر بعض المؤرخين(٤) أن جلد عثمان كان بأمر الخليفة سليمان بن عبدالملك.

النبي -ﷺ-، بقتله،وذلك(سنة٣هـ)، الزركلي: الأعلام ج٥ ص٢٢٥.

(١) وقد اختلف العلماء في حكم الحاكم بعلمه، فمذهب مالك أن القاضي لا يقضي في شيء من الأشياء بعلمه، إلا فيما أقر به في مجلس قضائه، خاصة في الأموال، وقال الشافعي: في مشهور قوليه، أنه يقضي بعلمه في كل شيء من الأموال، والحدود، وغير ذلك، مما سمعه أو رآه قبل قضائه وبعده، وبمصره وغيره. وذهب أبو حنيفة إلى أنه يقضى بما سمعه في قضائه وفي مصره، في الأموال، لا في الحدود، المالقى: تاريخ قضاة الأندلس ص٧.

(٢) البخارى: التاريخ الكبير ج٤ص ص٥١، ٥٢،ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٠ص٢١٦.

(٣) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٩.

(٤) الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ص٥٥٥.

وأما المواريث فقد عرضت على طارق بن عمرو قضية العمرى[1][2]، فقضى فيها للوارث، لقوله: -ﷺ- "أيما رجل أعمر عمرى له ولعقبه فإنها للذى أعطيها لا ترجع إلى الذى أعطاها لأنه أعطى عطاء وقعت فيه المواريث" [3].

و كذلك جاء فتيان من أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز فقالوا له: "إنا أبانا توفى وترك مالا عندعمنا" [4] فأخذه، فأرسل إليه عمر، فقال له: إن هؤلاء زعموا أن أباهم توفي، وترك مالاً عندك، قال: صدقوا، فأمره أن يأتى به، فأحضره بخواتم أبيهم، وقال: إن أبا هؤلاء توفي مذ عشرون سنة، وإني كنت أنفق عليهم من مالي، وهذا مالهم قال عمر: "ما أجد أحداً أحق أن يكون عنده منك" [5]،فقال: "أما إذ خرج من يدي،فلا يعود إلى أبداً ثم مضى"[6].

أما عن دعوى التفريق بين الزوجين، فقد تزوج أيوب بن سلمة المخزومى، فاطمة بنت الحَسَن[7] بغير علم إخوتها؛ زوجها إياد

---

(١) العُمري:(بضم المهملة، وسكون الميم مع القصر، وحكى ضم الميم، مع ضم أوله، وحكى فتح أوله مع السكون مأخوذ من العمر) أى يعطي الرجل الرجل -مثلاً-الدار، ويقول له: أعمرتك إياها، أي أبحتها لك مدة عمرك فقيل لها: عمرى لذلك، وهذا أصلها لغة، وأما شرعا: فالجمهور على أن العمرى إذا وقعت كانت ملكا للآخذ، ولا ترجع إلى الأول إلا إن صرح باشتراط ذلك، ابن حجر:فتح البارى ج٥ص٢٨٢.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٤ص٤٣٢.

(٣) مسلم: صحيح مسلم ج٥ ص٦٧، الحديث رقم٤٢٧٥.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٤٥ص١٤٢.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٤٥ص١٤٢، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٥ص ص١١٩، ١٨٨.

(٦) البكرى: معجم ما استعجم ج ١ص ص١٧٦، ١٧٧.

(٧) فاطمة بنت الحسن بن الحسن تزوجها معاوية بن عبد الله بن جعفر؛ فولدت له؛ ثم خلف عليها أيوب بن سلمة، ليس لها منه ولد، الزبيرى:نسب قريش ص ص٥٣،٥٢،ابن قتيبة:المعارف ص٢٠٧.

ابنها، فخاصم أخوتها إلى خالد بن عَبْد الملك- ولى المدينة ليرد نكاحه، فرفعهما إلى قاضيه محمد بْن صفوان[1]، ففسخ نكاحهما، و أمر بتمزيق ثياب أيوب، وضربه سبعين سوطاً، فأرسل أيوب لابنه برسالة إلى الخليفة، يقص عليه ما حدث، ويطلب منه أن يجيز نكاحه من فاطمة، فلما أذن له على الخليفة قال له: "لا أنعم الله بك عيناً، ولا بأبيك، أبُوك الموهن لسلطاني، الشاتم لعاملي، أما والله لولا ما لا يحتسب أبُوك، وما رعيت من خؤولته لضربته أكثر من ضرب ابن صفوان حتى لا يوهن سلطاناً أبدا"،ثم بعث معه برسالة إلى عامله على المدينة، يأمره فيها بأن يبعث إلى فاطمة عشرة من خيار وجوه أهل المدينة يسألونها" فإن اختارت أيوب بْن سلمة، فخل بينها وبينه، فقد أجاز أمير المؤمنين نكاحهما، وإن كرهته، فاصرف أيوب عنها "،فلما دخل القوم وقرءوا عليها كتاب الخليفة قالت: " فإني أختار أيوب؛ فخلوا بينهما فدعا ببغلة، واحتملها، فلم تزل عنده حتى ماتت ولم يولد لها" [2]، وإذا ما تجاوزنا حب المرأة للرجل، وحبه لها فإنه يتضح من هذه الدعوى عدة أمور:

أولاً: حضور عدد من الحرس مجلس القاضى يؤدبون من تسول له نفسه التطاول عليه، وينفذون أحكامه.

ثانياً: سمو مكانة القاضى، وأن الخليفة كان يعتبر أن هيبة القاضى من هيبته، وأن التعرض له إضعاف لسلطانه.

---

(١) محمد بن صفوان الجمحي القرشي، قاضي المدينة أيام هشام بن عبد الملك، يروى عن ابن المسيب،وهشام ابن عروة وهو من أقرانه، وعنه مالك، ذكره ابن حبان في الثقات، وروى له النسائى، الرازى: الجرح ج٧ص٢٨٧، ابن حبان: الثقات ج٧ص ٣٦٩،المزى:تهذيب الكمال ج٢٥ص ص٣٩٥، ٣٩٦.

(٢) وكيع: أخبار القضاة ج١ص ص١٧٢، ١٧٤.

ثالثاً: إعادة الخليفة النظر فى تلك الدعوى، وأمر الوالى بتخيير المرأة، باعتبار أنه كان رئيس محكمة المظالم، والتى كانت بمثابة محكمة الاستئناف، أو النقد فى عصرنا.

وخاصم إلى أبى بكر بن حزم رجل من بني فهر[1] أخر من بني النجار[2] **في أرض كانت بينهما نصفين، فسأل أبو بكر أيامًا فى أمرهما، فأجتمع رأى أهل العلم على إخراجها من يد الفهرى للنجارى، فقضى ابن حزم بذلك[3].**

وكان ابن لرفاعة بن رافع العجلاني قد تصدق بمال له بملل[4] على فقراء قومه، فغصبه منهم عبد الواحد النصرى-والى المدينة- فرفعوا أمرهم إلى سعيد بن سليمان-قاضى المدينة- ، فأخرج المال من يده، وقسمه فيهم، فانتعش منه خلق كثير من فقرائهم بالمدينة[5].

---

(١) بنوفهر: هم أبناء فهر بن مالك بن النضر، فمنه تفرقت قبائل قريش، ابن قتيبة: المعارف ص٦٨.

(٢) بنوالنجار:هم أبناء النَجَّار بن ثَعْلَبَة بن عَمْرو،وهو تيم الله،وإنما قيل له:النجار لأنه أختتن بقدوم،وقيل:ضرب رجلا بقدوم فسمي نجارا، وهم مَالِكاً، يَطن، وعَدِيّاً، بَطن، ومَازناً، بَطن، ودِينَاراً، بَطن،وهم أخوال عبد المطلب جد النبي-ﷺ-،ابن هشام: السيرة النبوية م١ص٤٢٩،السمعانى:الأنساب ج٥ص ص٤٥٩، ٤٦٠.

(٣) الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ص٥٧٤.

(٤) ملل:(بفتح أوله وثانيه بعده لام أخرى بالتحريك) اسم منزل على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلا من المدينة ،البكرى: معجم ما استعجم ج٤ص١١٤، ياقوت:معجم البلدان ج٥ص١٩٤.

(٥) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٦٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٣٧ص٢٥٣، المزى: تهذيب الكمال ج٠١ص٤٨٢.

الفصل الثالث:

"مكانة القضاة و هيئتهم وعبادتهم"

تمتع قضاة المدينة بمكانة سامية، ومنزلة عالية، سواءً عند الخلفاء وأمرأهم، أم عند العامة، -لم يتمتع بها صاحب أى وظيفة أخرى- "فلا شرف فى الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء"[1]، ويتضح ذلك مما يأتى:

أولاً: الوظائف التى تولها القضاة: تعددت المناصب التى أسندت إلى قضاة المدينة فى عهد بنى أميه- أو بعدهم- سواءً أكانوا فى منصبهم أم عزلوا عنها فى المدينة أو فى خارجها، يدل على ذلك ما يأتى:

١-الولاية على المدينة المنورة: وقد تولى هذا المنصب طلحة بن عبدالله بن عوف، لابن الزبير-وهو آخر ولاته على المدينة- حتى أخرجه طارق بن عمرو منها فى(سنة٧٢هـ)[2]، وعندما عزل الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م) عثمان بن حيان فى (سنة٩٦هـ)عهد بإمرة المدينة لأبى بكر بن حزم، والذى استمر فى منصبه حتى عزل فى(سنة١٠١هـ) فى خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ/٧٢٠ - ٧٢٤ م)[3]، كما أنه تولها فى خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥ هـ/٧٤٣-٧٤٤م)

---

(١) المالقى: تأريخ قضاة الأندلس ص٢.

(٢) ابن خياط: تاريخ خليفة ص ٢٦٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٥ص٤٩،ابن كثير: البداية ح٨ص٣٢١.

(٣) ابن خياط: تاريخ خليفة ص ص٣١٧،٣٣٢، الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ص ص٥٠٥، ٥٨٩. . .

لمدة ستة أيام فى (سنة١١٨هـ) حتى قدم محمد بن هشام عاملاً عليها [١] .

٢- **نائب أمير المدينة: كان بعض الأمراء إذا عزل عن منصبه، أو غاب عنه، استخلف على عمله القاضى، فقد كان الحجاج بن يوسف[٢]، يستخلف على المدينة إذا أتى مكة عبد الله بن قيس[٣]، واستخلفه عليها -أيضاً- حينما استعمله الخليفة عبد الملك بن مروان(٦٥ - ٨٦ هـ/٦٨٥ - ٧٠٥ م) على إمرة الكوفة والبصرة، فظل على إمرتها حتى استعمل عليها الخليفة يحى بن الحكم [٤]، وحينما عُزل عمر بن عبد العزيز عن إمرة المدينة فى شعبان (سنة٩٣هـ) استخلف عليها أبو بكر بن حزم، فعزله الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ /٧٠٥-٧١٥م)، و استعمل عثمان بن حيان[٥]، وكذلك استخلفه على المدينة محمد بن هشام حين قدم على الخليفة الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/٧٤٣-٧٤٤م)[٦].**

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل ج٧ص١١١.

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى، ولد فى (سنة٣٩أو ٤٠هـ)،كان فصيحا، بليغا، حافظا للقرآن، بدأ حياته معلما للأطفال، ثم اشتغل بالسياسة، فصار من قواد عبد الملك، أرسله للقضاء على ابن الزبير، ثم ولاه العراق، توفى (سنة ٩٥هـ)، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج١٢ ص ١١٣ ،٢٠٢، الصفدى: الوافى ج١١ ص ٣٠٧ ،٣١٥.

(٣) ابن خياط: تاريخ خليفة ص٢٩٣.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٣٢ص١٠٦، السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ص٥٠.

(٥)ابن خياط: تاريخ خليفة ص ٣١١، الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ص٤٨٢.

(٦) ابن خياط: تاريخ خليفة ص٣٦٦.

٣- **الإمارة على الحجيج**:و تعنى تسيير الحجيج وتدبير أمرهم، وإقامة الحج والقيام بمناسكه وأحكامه[١]، فقد عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) إلى عامله على المدينة ، أبو بكر بن حزم، بإمارة الحج، وبين له طبيعة عمله بقوله:" إن أول عملك قبل التروية[٢] بيوم تصلى بالناس الظهر، وأخر عملك أن تزيغ الشمس من أخر أيام منى "[٣] فحج أبو بكر بالمسلمين فى سنتى : تسع وتسعين، ومائة للهجرة [٤] .

٤- **إمارة الشرطة**: وهى فى الأصل من توابع القضاء، لأن المراد بها تنفيذ أحكامه، أو فرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم. و إقامة التعزير و التأديب فى حق من لم ينته عن الجريمة. ونشر الفضيلة، والمحافظة على الأخلاق الفاضلة، كما أنها كانت تساعد القاضى فى إثبات الذنب على مرتكبة، وتساعد الحكومة على تنفيذ الحكم، ويتولى صاحبها إقامة الحدود على المحكوم عليهم[٥]،وقيل:إن الشرطة هم أول كتيبة تشهد

---

(١) القلقشندى: مآثر الأنافة ج١ص٧٩.

(٢)يوم التروية: هو يوم الثامن من ذى الحجة، سمى بذلك لأنهم كانوا يروون فيها إبلهم ، ويتروون من الماء لأن تلك الأماكن- أى عرفة ومنى- لم تكن بها إذ ذاك آبار ولا عيون، ابن حجر: فتح البارى ج٣ ص ص ٥٩٣،٥٩٢.

(٣) ابن سعد : الطبقات ج٥ ص ٢٦٨ .

(٤)ابن خياط: تاريخ خليفة ص٣٢٤، الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ ص ص ٥٥٤، ٥٦٣ .

(٥) ابن خلدون: المقدمة ج٢ص٦٨٧، جرجى زيدان: تاريخ التمدن ج١ص٢٥١.

الحرب وتتهيأ للموت[1]، وهى ما تعرف بالفدائيين فى عصرنا.

وعلى كل حال فقد تولى هذا المنصب نوفل بن مساحق، لمسلم بن عقبة المرى[2]، وأنه-كما جاء فى بعض الرايات- قتل معقل بن سنان[3]، لأنه كان يستنقص الخليفة يزيد بن معاوية [4][5].

وكان بعض القضاة يجمع بين منصبى القضاء والشرطة، كأبى سلمة بن عبد الرحمن، الذى ولاه سعيد بن العاص أثناء إمارته على المدينة، ومثله أخاه مصعب بن عبد الرحمن. الذى

---

(١) ابن منظور:لسان العرب ج ص مادة:(ش ر ط).

(٢) مسلم بن عقبة بن رياح المُرىّ، أدرك النبى -ﷺ- وكان أحد قواد معاوية أثناء الفتنة مع على، وولاه يزيد قيادة الجيش الذى أرسله للقضاء على ثورة المدينة، فأسرف فى أهلها قتلا ونهبا فى وقعة"الحرة"،وكانت وفاته بطريق مكة(سنة٦٣هـ)،الزبيرى: نسب قريش ص ص١٢٧، ٣٩٠، ٣٧١، ابن قتيبة: المعارف ص٣٥١ .

(٣) معقل بن سنان بن مظهر الأشجعى، صحابي، من القادة الشجعان،كانت معه راية قومه يوم حنين، ويوم فتح مكة. وسكن الكوفة،وكان على المهاجرين في وقعة الحرة، فقتله مسلم بن عقبة المري،(سنة٦٣هـ)، ابن سعد:الطبقات ج٤ ص ص٣٤٢، ٣٤٤،ابن خياط:الطبقات ص٩٦،ابن حجر:الإصابة ج٦ص ص١٨١، ١٨٢.

(٤) التميمى:المحن ص١٦٩،ابن حجر:تهذيب التهذيب ج٥ ص٥٦٤.

(٥) يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ،ولد فى (سنة ٢٥أو٢٦هـ) ، كان قويا ، شجاعا ، ذا رأى وحزم،ولى الخلافة فى رجب (سنة ٦٠هـ)،ووقعت فى عهده أحداث كبرى - موقعة كربلاء، والحرة، وحصار الكعبة- توفى (سنة٦٤هـ)،الزبيرى:نسب قريش ص ص ١٢٧، ١٢٨، المسعودى: التنبيه والأشراف ص ص ٢٦٢، ٢٦٥.

استعمله مروان بن الحكم[١]، وكان أهل المدينة قبل عمل مصعب هرجوا: يقتل بعضهم بعضاً؛ فلما ولى مصعب قال: لمروان"إنى لا أضبط المدينة بحرس المدينة فابغني رجالاً من غيرها"، فأعانه بمائتي رجل من أهل أيلة[٢] فضبطها ضبطا شديداً، فقد شدَّ بهم وجلدهم، وهدم الدور؛ ففزع الناس من ذلك؛ فشكوه إلى مروان؛ فكاد يعزله؛ فدخل عليه المسور بن مخرمة[٣]؛ فقال له مروان:" ألا ترى ما يشكو الناس من مصعب بن عبد الرحمن؟ " فقال له المسور بن مخرمة:

ليس بهذا من سياق عتب ∴ يمشي القطوف وينام الركب

فلم يزل على شرطه حتى مات معاوية، وقدم عمرو بن سعيد[٤] والياً ليزيد بن معاوية؛ فولى مصعباً الشرط، ثم أمره بهدم

---

(١) ابن سعد:الطبقات ج٥ص١٨٦،ابن قتيبة: المعارف ٢٣٨، ابن عساكر:تاريخ دمشق ج٢٩ص ص٢٩١، ٣٠٢.

(٢) أيلة:(بفتح أوله على وزن فعله) مدينة على شاطىء البحر في منصف ما بين مصر ومكة،البكرى: معجم ما استعجم ج١ص٢٠٠، تحقيق د/ جمال طلبه، ط/١، دار الكتب العلمية. بيروت سنة ١٩٩٨م.

(٣) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب، ولد بمكة بعد الهجرة بسنين، وقيل له: صحبة، وروى عن النبى - ﷺ - وعن أبى بكر، وعمر وكان يلزمه ويحفظ عنه، وكان من أهل الفضل والدين، كره بيعة يزيد، وتوفى بمكة وهو مع الزبير فى (سنة ٦٤هـ) ، الزبيرى: نسب قريش ص ص ٢٦٢، ٢٦٣. ابن خياط: الطبقات ص ٤٦.

(٤) عمرو بن سعيد بن العاص، يقال:إنه رأى النبى - ﷺ -كان من سادات المسلمين ، ومن الكرماء المشهورين، ولى المدينة لمعاوية، ويزيد، وقد رام الخلافة، وغلب على دمشق فقتله عبد الملك فى (سنة٦٩هـ)،روى له الجماعة إلا الترمذى: الذهبى:

دور بني هاشم ومن كان في حيزهم والشدة عليهم، وبهدم دور بني أسد ابن عبد العزى والشدة عليهم، حين خرج الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وأبيا بيعة يزيد؛ فقال له مصعب: " أيها الأمير! إنه لا ذنب لهؤلاء، ولست أفعل " ، قال: " انتفخ سحرك، يا ابن أم حريث - وكانت أمه سبيةً من بهراء - إليَّ سيفنا؟ " فرمى السيف، وخرج عنه، ولحق بابن الزبير[1].

وكذلك ولى سعد بن إبراهيم الشرطة بالمدينة، ثم ولى قضاءها غير مرة[2].

٥- **ولاية الصدقات**:وهي "الزكوات الواجبة في المواشي والنقود والزروع وتحصيلها من أربابها وحملها إلى بيت المال"[3]، وممن تولى هذا المنصب، والسعاية على الصدقات بالمدينة- من القضاة- نوفل بن مساحق، ولى صدقات كعب بن ربيعة، وكان لا يرفع إلى الأمراء منها شيئا يقسمها ويطعمها[4]، فأخذه بعض الأمراء بالحساب؛ فقال له:"أين الغنم؟ " قال:"أكلناها بالخبز"، قال:" فأين الإبل؟ " قال:"حملنا عليها الرجال"[5].

تاريخ الإسلام ج٧ ص ص ٢٠٥،٢٠٢، الفاسى : العقد الثمين ج٦ ص ص ٣٨٦ ،٣٩٤.

(١) الزبيرى:نسب قريش ص٢٦٨، وكيع:أخبار القضاة ج١ ص١١٨، ١١٩،الأصفهانى:الأغانى ج٥ ص٨١، ٨٢.

(٢) ابن عساكر:تاريخ دمشق ج٢٠ص٢٠٦.

(٣) القلقشندى: مآثر الأنافة ج١ص٧٩.

(٤) ابن عساكر:تاريخ دمشق ج٤٩ص٣٩٤ ج٦٢ص٢٩٣، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٨ص٥٦٣.

(٥) الزبيرى: نسب قريش ص٤٢٧.

كذلك تولى سعد بن إبراهيم، صدقات عجز بنى طلاب[1]. فخرج عليها فى عام، ثم أبى أن يخرج إليها مرة أخرى[2].

أما الأحباس: فقد كانت فى أيدى أصحابها ولذا نرى الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠م) يكتب إلى عامله على المدينة أبو بكر بن حزم بقوله:"اكتب لى نسخة صدقات أصحاب النبى وتسمية ولاتها وارفع فى أنسابهم"[3].

وكان دور القاضى يقتصر على مراجعة إيرادات الوقف ومصارفها، فإن وجد القيم قد أنفق فى غير جهة الصرف، الزمه ما أنفق من صلب ماله، فإن أبى عليه عزره بالضرب، بل والسجن حتى يمتثل لأمر القاضى، كما فعل سعد بن إبراهيم ، بإسماعيل بن عبد الله بن مطيع[4].

٦- **قيادة الجيش:** وممن تولى هذا المنصب مصعب بن عبدالرحمن، فقد تولى قيادة الجيش الذى بعثه ابن الزبير لقتال أخيه عمرو بن الزبير[5]، فلقيه، وانتصر عليه.

---

(١) عجز بنى طلاب:العجز مؤخر الشيء،المعجم الوجيز، مادة: (ع ج ز)، وبنى طلاب اسم لقبيلة من أعراب الحجاز، عزى أعرابيٌ منهم عمر بن عبد العزيز فى ابنه،ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٣٧ص٥١.

(٢) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٥١، ابن عساكر:تاريخ دمشق ج٢٠ص٢١٩.

(٣) البخارى: التاريخ الصغير ج١ص٢٤٩.

(٤) وكيع: أخبار القضاة ج١ص ص١٥٤، ١٥٥.

(٥) عمرو بن الزبير بن العوام، كان مع "بنى أمية " على أخيه،استعمله والي المدينة عمرو بن سعيد على شرطتها. وأرسله إلى مكة لقتال أخيه عبد الله، فأسر وأخذ إليه، فأمر بضربه، فقيل: مات تحت السياط (سنة ٦٠هـ)، ابن سعد:

وأسره[1]، كما تولى نوفل بن مساحق قيادة الجيش المتجه لقتال ابن الأشتر[2] فى(سنة٦٦هـ) فهزمه[3].

٧- **الإفتاء فى مواسم الحج**:حرص خلفاء بنى أمية-فى أواخر أيام خلافتهم- على تعيين مفتين من أهل الحرمين، يجيبون الحجيج عن استفسارتهم، وما أشكل عليهم من مناسكه، وما وقعوا فيه من محظورات الحج- أو غيره- مما شغل قلوبهم، و أحزن خواطرهم، يعلنون عن أسمائهم فى الموسم، إذ يذكر بعض الرواة: أنه سمع صائحاً يصيح فى المسجد الحرام أيام مروان بن محمد- آخر خلفاء بنى أمية- " لا يفتى الحاج فى المسجد إلا يحيى بن سعيد[4]، و.... ... "[5].

الطبقات ج٥ص ص٢٢٢، ٢٢٣،ابن قتيبة: المعارف ص٢٢١، ابن كثير: البداية ج٨ص ص١٥٣، ١٥٤.

(١) ابن سعد: الطبقات ج٥ص١٨٩، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٩ص٤٦.

(٢) إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي، من أصحاب مصعب بن الزبير، ولي له الولايات وقاد جيوشه في مواطن الشدة، وآخر ما وجهه فيه حرب عبد الملك بمسكن، فقتل ابن الأشتر، في(سنة٧١ هـ)، الزركلى: الأعلام ج١ص٥٨.

(٣) ابن كثير: البداية ج٨ص٢٧٠.

(٤) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى، قاضى المدينة ومفتيها فى عصره، تلميذ الفقهاء السبعة، ولد قبل السبعين، وكان رجلا صالحاً فقيها ثقة، ولى القضاء للمنصور، واختلف فى وفاته بين أعوام(١٤٣هـ،١٤٤هـ، ١٤٦هـ)، البخارى: التاريخ الكبير ج٨ ص ص ٢٧٥ ،٢٧٦،ابن العماد : شذرات الذهب ج١ص٢١٢.

(٥) المزى : تهذيب الكمال ج٣١ ص٤٧٤، الذهبى : سير أعلام النبلاء ج٥ ص٤٦٩ .

٨- **ولاية القضاء لغير بنى أمية**:كذلك تولى بعض القضاة، القضاء فى عصر بن العباس،منهم محمد بن عمران الذى ولى قضاء المدينة لأبى جعفر المنصور[١](١٣٦-١٥٨هـ)[٢]،والذى عهد بقضاء الحيرة لعثمان بن عمر،كما عهد ليحيى بن سعيد بقضاء الهاشمية[٣].

ثانياً:هيبة القضاة وآرائهم فى المجتمع:

وكما كان للقضاة مكانة سامية فى المجتمع، كانت لهم هيبة عالية فى النفوس، ورهبة فى القلوب، فعل سبيل المثال كان عمر بن خلدة مهيباً صارماً ورعاً[٤]، وكذلك كان أبو بكر بن حزم، عظيم المروءة[٥]، وأما سعد بن إبراهيم، فكانت هيبته وهو فى منصب القضاء كهيبته حين عزل عنه، "يتقى كما يتقى وهو قاض"[٦]، ولذلك يقول موسى شهوات[٧] يهجوه :

---

(١) أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد أمير المؤمنين، ولد (سنة ٩٥هـ)، وكان حافظا لكتاب الله، متبعا لآثار رسوله - ﷺ- فقيها محدثا، كاتبا، بليغا، ولى الخلافة بعهد من أخيه (سنة ١٣٦هـ)، ويعتبر أول من ترجمة له الكتب، وأسس بغداد، وجعلها دار الخلافة، وكان صارما مهيبا، وتوفى بطريق مكة (سنة ١٥٨هـ)، المسعودى: التنبيه ص ص ٢٩٥، ٢٩٦، الخطيب: تاريخ بغداد ج١٠ ص ص ٥٥، ٦١.

(٢) الرازى:الجرح ج٨ص٤١، السخاوى: التحفة ج٢ص٥٠.

(٣) الزبيرى: نسب قريش ص٢٩٧، الذهبى: سير أعلام ج٥ص٤٧١، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٥ص٥٠٦.

(٤) ابن سعد: الطبقات ج٥ص٣٣٥، المزى: تهذيب الكمال ج٢١ص٣٢٩، السخاوى: التحفة ج٢ص٣٣٧.

(٥) المزى: تهذيب الكمال ج٣٣ص١٤١.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٠ص٢١٨، الذهبى: سير أعلام ج٥ص٤١٩.

(٧) موسى بن يسار المدنى، شاعر، من الموالي، نشأ وعاش بالمدينة، ونزل بالشام، في أيام سليمان، فكان من شعرائه، لقب

لعن الله والعباد ثُطيط[1] ال ∴ وجه لايرتجى قبيح الجوار
يتقي الناس فحشه وأذاه ∴ مثل ما يتقون بول الحمار
لاتغرنك سجدة بين عينيه ∴ ه حذار منها ومنه حذار
إنها سجدة بها يخدع النا ∴ س عليها من سجدة بالدبار[2،3]

وأما محمد بن عمران، فكان رجلاً مهيباً صارماً من الرجال[4]، يقول:" ما شيء أشد من حمل المروءة"؛ فقيل له:"أي شيء المروءة ؟ قال: لا أعمل شيئاً في السر استحي منه في العلانية"[5]، ولما بلغ الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤- ٧٧٥م) موته، قال: "اليوم استوت قريش"[6].

بـ(شهوات) لأنه كان يحلب إلى المدينة القند والسكر فقالت لمرأة: ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات، وقيل: لقوله في يزيد بن معاوية "يا مضيع الصلاة للشهوات"، توفى نحو(سنة ١١٠ هـ)، الأصفهانى: الأغانى ج٣ص ص٣٤٧، ٣٥٠، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٦١ص ص٣٤٤، ٣٤٩، الزركلى: الأعلام ج٧ص٣٣١.

(١) ثطط: رجل ثَطٌّ ثَقِيلُ البطن بَطِيء، وقيل: هو القليل شعر اللحْية، وقيل: هو الخفيف اللحية من العارضَيْن، وقيل: هو أيضا القليل شعر الحاجبَيْن، ابن منظور:لسان العرب،مادة:(ث ط ط).

(٢) الدَّبارُ: الهلاك بالفتح مثل الدَّمار،ابن منظور: لسان العرب، مادة:(د ب ر).

(٣) ابن قتيبة: المعارف ص٢٣٧، الأصفهانى: الأغانى ج٣ص٣٥٦.

(٤) الرازى: الجرح و التعديل ج٨ص٤١.

(٥) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٨٣.

(٦) الرازى: الجرح والتعديل ج٨ص٤١، السخاوى: التحفة اللطيفة ج٢ص٥٥.

كذلك لم يغير الجاه والمال، نفوس هؤلاء الرجال. لذلك يقول يحيى بن سعيد- وكان خفيف الحال فاستقضاه أبو جعفر وارتفع شأنه فلم يتغير حاله - فقيل له:" في ذلك فقال: من كانت نفسه واحدة لم يغيره المال"[١].

ولذلك كان لهؤلاء القضاة آراء فى مجتمعهم. ونقد لما يظهر فيها من سلبيات، فى الفينة بعد الفينة، سواءَ فيما يتعلق بالعبادات أم المعاملات، ويعملون على إصلاحها، وفى هذا الصدد يقول عُمَر بن خلدة: "أدركت الناس يعملون ولا يقولون، وهم اليوم يقولون ولا يعملون"[٢]، ويقول أبوطوالة:" ليت لنا مثل أخلاق آبائنا مع إسلامنا"[٣]، فإذا كان هذا رأى أبوطوالة فى عصره وقرنه، الذى هو من خير القرون، فماذا هو قائل لو عاش فى عصرنا؟.

وينتقد سلمة بْن عبد الرحمن بن عوف، هيبة الحكام فى نفوس الراعية، بقوله:" والله لدرة عُمَر -ابن الخطاب- كانت أهيب في صدور المسلمين من سيوفكم هذه"[٤].

من أجل ذلك رأينا بعض القضاة، كسعد بن إبراهيم، يؤدب على السماجة، فقد دخل عليه رجل خبيث الريح، فجلده، فمدحه رجل من أهل المدينة بقوله:

ضرب العادل سعد ∴ ابن سلم في السماجة
فقضى الله لسعد ∴ من أمير كل حاجه

(١) المزى: تهذيب الكمال ج٣١ص٣٥٧.
(٢) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٢.
(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ٢٩ص٣٣٠.
(٤) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٥٠.

وراء سعد -ذات يوم- رجلاً يخايل فى مشيته فدعا به، وكان يتولى المدينة، فضربه ضرباً مبرحا[1].

ثالثاً: ملابس القضاة وهيئتهم:

لم تبين- المصادر التى رجعت إليها- هل كان للقضاة زى خاص يميزهم عن غيرهم فى مجلس القضاء أم لا؟ كما أن ما جاء فى بطون تلك الكتب فيما يتعلق بملابسهم-عامة- نتف قليلة منها:

العمامة: وهى من الألبسة الخاصة بالرجال، وكان لا يلبسها إلا الأشراف، لأن العمائم تيجان العرب، وتختلف العمائم باختلاف الأقمشة المصنوعة منها، وهى فى الغالب تصنع من أقمشة القطن أو الخز [2]، فكان لسعد بن إبراهيم، عمائم كثير ، يعتم بها، و يعمم ولده[3].

وأما **الملابس**، فلم يكن فيها إسراف -فى الغالب- ويتضح ذلك من هذا الحوار الذى دار بين سعد بن إبراهيم، ورجل من بنى عامر بن كريز، حضر مجلسه، و"عليه جبة صوف تحت قميص، فانتهره. قال: ما هذا، قال: أصلحك الله، صوف وعليها قميص، فقال له: ما هذه الشهرة انزعها عنك"[4]، و على كل حال، فكل ما ذكرته المصادر-التى رجعت إليها- أن بعض القضاة كان يلبس-فى بعض الأحيان- مطرف خز أصفر، كأبى سلمة بن عبد الرحمن[5].

---

(١) الأصفهانى: الأغانى ج٦ص ص١٥، ٢٠.

(٢) د/ عبد الله محمد : الحياة الاقتصادية ص ص ٢٦٩ ،٢٧٠،ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٣هـ .

(٣) السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ص٣٨٤.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٠ص٢١٩.

(٥) ابن سعد: الطبقات ج٥ص١٨٧.

مظاهر الزينة: كان بعض القضاة يخضب شعر رأسه ولحيته بالحناء، وكان بعضهم يستعمل الكتم [١] إضافة إلى الحناء، كأبى سلمة بن عبدالرحمن، والذى قيل: إنه كان يصغ-أيضاً- بالوسمة، والسواد[٢].وأما الطيب، فقد كان سعد بن إبراهيم يعجب من هؤلاء المتقشفين،وقل ما خرج من بيته إلى المسجد للصلاة إلامس غالية[٣].

رابعاً: العبادة فى حياة القضاة:

لم تشغل الحياة وزخرفها، والمناصب بعظمتها، القضاة عن القيام بحق الله عليهم، فحرصوا على أداء الفرائض، والاهتمام بالنوافل،حتى لكأنهم عباد بالليل، قادة بالنهار، فكان لهذا كله أثر فى سلوكهم، وإشراق على وجوههم، وقدوة لمن يأتى بعدهم.

ففى الصلاة: كانوا يبيتون لربهم سجداً وقياما، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، فعلى سبيل المثال،كان أبوسلمة بن عبدالرحمن من أفاضل قريش، وعبادهم[٤]. وكان سعيد بن سليمان فاضلاً عابداً، كثير الصلاة[٥]، فى حين كانت سجدة سعد إبراهيم، قد أخذت ما بين عينية[٦]، كما كان أبو طوالة قواماً[٧]، أما أبو بكر بن حزم فقد كان كثير العبادة والتهجد بالليل.

---

(١) الكتم : (بالتحريك) نبات يخلط مع الوسمة للخضاب الأسود ، وقيل : الكتم نبات فيه حمرة، ابن منظور: لسان العرب، مادة:(ك ت م).

(٢) ابن سعد: الطبقات ج٥ص١٨٧،ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٩ص٢٩٨، الذهبى: سير أعلام ج٤ص٢٨٨.

(٣)ابن عساكر:تاريخ دمشق ج٢٠ص٢١٥،الصفدى:الوافى ج١٥ص١٤٩.

(٤) ابن حبان:مشاهير علماء الأمصار ص١٠٦.

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٣ص٣٣٣.

(٦) ابن قتيبة: المعارف ص٢٣٧.

(٧) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٥ص٢٥١.

تحدث عنه زوجته فتقول: "إنه ما اضطجع على فراشه بالليل منذ أربعين سنة"[١]، وكانت سجدته قد أخذت جبهته وأنفه[٢]، يكثر من الصلاة فيما بين الأسطوان التي تلي حرف القبر في المسجد النبوى[٣]، كما أنه كان يحرص على تحرى ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، وآية ذلك أستأذنه من ابن حيان -أمير المدينة- لكى لا يجلس للقضاء ليتمكن من أحياء ليلة، إحدى و عشرين، أو ليلة الثلاث والعشرين من رمضان[٤]، وكذلك كانوا يحرصون على زيارة مسجد قباء، والصلاة فيه، إقتداءً بالنبى- ﷺ- كما فعل عبد الله بن قيس [٥] [٦].

فإذا ما طالعنا حال القضاة مع فريضة أخرى: هى سربين العبد و ربه، **الصيام**: رأيناهم قد أخذوا بنصيب وافر منه، وآية ذلك أن أبا بكر بن عبد الرحمن، كان يصوم ولا يفطر[٧]، أما أبوطوالة

---

(١) المزى: تهذيب الكمال ج٣٣ص٣١٤، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٥ص٣١٤.

(٢) الفسوى: المعرفة ج١ص٦٤٤، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج١٠ص٤١.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٨ص١٩٣.

(٤) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٤١، الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ص٥٠٥.

(٥) عبد الله بن قيس بن مخرمة رأى النبي - ﷺ - وهو صغير، وروى عن أبيه وطائفة من الصحابة، ووثقه النسائي، وعمل لعبد الملك على العراق وولى المدينة، وذكره الرواة في التابعين وآخرين في الصحابة، ابن حبان: الثقات ج٥ص٤٤، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٤ص٤٠٤.

(٦) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٣٢ص١٠٧.

(٧) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٤ص٤١٧.

فقد كان يسرد الصوم[1]، فى حين سرد سعد بن إبراهيم الصوم قبل أن يموت بأربعين سنة[2].

أما قراءة القرآن الكريم، فقد كان عبد الله بن قيس من قراء أهل المدينة[3]، وكان سعد بن إبراهيم يختم القرآن فى كل ليلة، أو ليليتين، وقيل: كل ثلاثة أيام[4]، وذكر بعض الرواة[5] أن حزبه – فى اليوم– من أول سورة البقرة إلى قوله تعالى:{ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**}[6]، وكان يحرص أن يختم القرآن فى الوتر فى العشر الأواخر من رمضان، قبل أن يفطر، و كان يفطر فيما بين المغرب و العشاء" وكانوا يؤخرون العشاء الآخرة في شهر رمضان تأخيرا شديداً"[7].

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٩ص٣٢٩، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٤ص٣٧٦.

(٢) وكيع: أخبار القضاة ج ١ ص١٦١،الذهبى:سير أعلام ج٥ ص٤١٩، السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ص ٣٨٤ .

(٣) ابن حبان:مشاهير علماء الأمصار ص١٠٦.

(٤) المزى : تهذيب الكمال ج١٠ص٢٤٤، الذهبى: سير أعلام ج٥ ص٤١٩، السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ص٣٨٤.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٠ص٢١٤.

(٦) سورة الأحزاب: الأية ١.

(٧) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٠ص٢١٤.

الفصل الرابع
"علاقة القضاة بفئات المجتمع"

تشعبت علاقات القضاة بفئات المجتمع، كما أن هذه العلاقات لم تكن تسير على وتيرة واحدة، وإنما كان يعتريها الفتور، أحياناً، حسب تغير الأحوال، وما تضمره النفوس، يتضح ذلك مما يأتى:

أولاً: علاقتهم بالخلفاء:

كانت علاقة القضاة بالخلفاء تربطها المحبة، وتسودها المودة، فكانوا محل تكريمهم ومن خاصتهم، وإن كان يسود تلك العلاقة الجفاء-أحياناً-و آية ذلك أن مصعب بن عبد الرحمن، لم يقبل شفاعة أمير المؤمنين معاوية فى رجل اعتدى عليه فكسر أنفه- وهو على الشرطة- وقال:" ضربني، وأنا سلطان، وللسلطان أن يأخذ حقه ويؤدب، لو فعل هذا لغيري، لاقتصصت لمن فعل ذلك له، وأخذت منه حق السلطان بسفهه"، و ذلك لأن الخليفة كان ضربه مائة سوط، وحبسه سنةً، في أمر إسماعيل بن هبار[1]، وكان قد اتهم بقتله[2].

وعندما وفد عبد الله بن قيس بن مخرمة على عبد الملك- بدمشق-أكرمه، وأشار عليه أن يطلب منه-فى مجلسه- تعيين عريف لقومه، فلما أذن للناس فى الدخول إلى مجلسه، قام عبد الله فقال:"يا أمير المؤمنين أنا أصبحنا ليس لنا عريف، إنما ندعى ببنى هاشم، فنجيب، فاجعل لنا عريفاً، فكتب له أن تعرفوا على عريف،

---

(١) إسماعيل بن هبار بن الأسود، أمه أم ولد، كان من فتيان أهل المدينة، مشهور بالجلد والفتوة، الزبيرى : نسب قريش ص ص ٢١٩، ٢٢٠ .

(٢) الزبيرى: نسب قريش ص ٣٧١.

ويكون ذلك إلى عبد الله بن قيس يليها ويوليها من أحب"، فكان عبد الملك بذلك أول من فرق فى الدعوى بين بنى هاشم، و بنى المطلب [١].

وجاء فى بعض الروايات[٢] أن الخليفة عبد الملك بن مروان، لما قدم حاجاً فى (سنة ٧٥هـ)،، جلس على المنبر. "فشتم أهل المدينة ووبخهم، ثم قال: إني والله يا أهل المدينة قد بلوتكم، فوجدتكم تنفسون القليل، وتحسدون على الكثير، وما وجدت لكم مثلاً إلا ما قال: مخنثكم وأخوكم الأحوص

وكَمْ نزلتْ بي من خُطوبٍ مُهِمّةٍ ∴ خَذَلْتُمْ عليها ثم لم أتَخَشّع

فأدبَر عنّي شرّها لم أبَلْ بها ∴ ولم أدْعُكُمْ في كَرْبِها المتَطلّع

فقام إليه نوفل بن مساحق فقال:" يا أمير المؤمنين أقررنا بالذنب، وطلبنا المعذرة، فعد بحلمك، فذلك ما يشبهنا منك، ويشبهك منا، فقد قال: من ذكرت من بعد بيتيه الأولين

وإنّي لَمُسْتأنٍ ومُنْتظِرٌ بكم ∴ وإنْ لم تقولوا في الملاّتِ دَعْ دعِ

أؤمّلُ منكم أنْ تَرَوْا غيرَ رأيكم ∴ وشيكاً وكيما تَنْزِعُوا خيرَ مَنْزَعِ

و لا أجد فى نفسى قبولاً لمثل تلك الرواية، لما فيها من سب وتوبيخ لأهل مدينة رسول الله- ﷺ- أولاً، ولذكر نوفل بن مساحق ثانياً، فإنه توفى فى أول خلافة عبد الملك فى (سنة ٧٤هـ)[٣].

---

(١) الفسوى: المعرفة ج١ص ص٤٦٦، ٤٦٧، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٣٢ص١٠٥.

(٢) الأصفهانى: الأغانى ج٤ص ص٢٥١، ٢٥٢.

(٣) البخارى: التاريخ الصغير ج١ص١٨٣، الرازى: الجرح ج٨ص٤٨٨، ابن حبان: الثقات ج٥ص٤٧٨.

ويذكر بعض الرواة[1]، أن نوفل بن مساحق، كان يلى المساعى بالمدينة، وكانت له منزلة خاصة لدى الوليد بن عبد الملك بن مروان؛ وكان الوليد يعجبه الحمام، ويتخذ له ويطيره. فستأذن عليه، فأذن له، فقال: "ما هذا يا أمير المؤمنين، فقال: هذا مدخل ما دخله أحد قبلك، وإنما خصصتك به، قال: يا أمير المؤمنين ما خصصتني به، ولكن خسستني، إنما هذه هي عورة تستر " فغضب عليه الوليد، فسيره إلى المدينة، وأمر عامله أن يحاسبه على ما يلى من أعمال.

أضف إلى ذلك أن الوليد بن عبد الملك عندما قدم المدينة – فى خلافته- أمر بأربعة كراسى، ووضعت فى مجلسه، لأشراف قريش، فكان من نصيب القضاة منها مقعدين: أحدهما: لنوفل بن مساحق، وأخر لطلحة بن عبد الله [2].

إلا أن فى تلك الرواية وما قبلها نظر، لا لشئ إلا لأن نوفل بن مساحق لم يل أى عمل للوليد فى خلافته، وذلك لوفاته فى (سنة ٧٤هـ)[3]، ورجح بعض المؤرخين[4] أن يكون هذا الذى اتفق لنوفل مع الوليد فى حياة عبد الملك، ويكون قول من قال: فى خلافته وهماً، وإذا كان مثل هذا الترجيح مقبولاً فى الرواية الثانية. فإنه مستبعد تماماً فى الرواية الأولى.

---

(١) الزبيرى: نسب قريش ص٤٢٧، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٦٢ص٣٠١، المزى: تهذيب الكمال ج٣٠ص٦٨.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٥ص٥٠، المزى: تهذيب الكمال ج٣٠ص٦٨.

(٣) البخارى: التاريخ الصغير ج١ص١٨٣، الرازى: الجرح ج٨ص٤٨٨، ابن حبان: الثقات ج٥ص٤٧٨.

(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٨ص٥٦٤.

... كما وفد سعد بن إبراهيم على هشام بن عبد الملك فى دمشق[1]، وإن لم يرد تفصيل لتلك الزيارة.

ثانياً: علاقتهم بالأمراء:

لم يكن تعيين الولاة للقضاة حائلاً بينهم وبين قول الحق، والحكم عليهم إذا اقتضى الأمر، بل ربما زاد هذا الحكم فى توطيد العلاقات بينهم، وآية ذلك أن أول قضاء قضى به عبد الله بن نوفل "حقا على آل مروان بن الحكم فزادة ذلك عند مروان-بن الحكم- خيراً"[2].

ولما رفض مصعب بن عبد الرحمن شفاعة أمير المؤمنين معاوية فى شأن صخير بن أبي جهم[3]-الذى حطم أنفه- سعى قومه لدى مروان بن الحكم، فقال لهم:" أبعد كلام أمير المؤمنين؟ " قالوا:" نعم،إنما هو صنيعتك" فأتاه مروان، فكلمه؛ فقال مصعب:"وقد وهبت بمشاك حقي قبلهم "، فانصرف القوم مسرورين[4].

وفى بعض الأحيان كانت تسوء العلاقات بين القاضى والأمير، لأنه قضى عليه، فتسول له نفسه عزله عن منصبه، وفى ذلك يذكر الرواة:أن العلاقات بين الوالى عبد الواحد النصرى، وبين سعيد بن سليمان لم تكن على ما يرام بسب قضاء الأخير على

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٠ ص٢٠٥.

(٢) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١١٣.

(٣) صخير بن أبي الجهم عبيد ويقال عامر بن حذيفة العدوي القرشي وفد على عمر بن عبد العزيز، وكان صخير قد نزل الكوفة وأطعم بها الطعام وكان له بها قدر، ودار، وموالي،ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٤ص ص٣، ٥.

(٤) الزبيرى: نسب قريش ص٣٧١.

الوالى فى أرض غصبها من قوم بملل، فعمل علـى" عزلـه، فمـا استطاع وعزل الوالي من أجله" (١).

بيد أنى لا أجد فى نفسى ميلاً لقبول ما جاء فى تلك الرواية من محاولة الوالى عزل القاضى لأنه قضى عليه، وذلك لما يلى:

أولاً: لأنه كان رجلاً صالحاً بارز الأمر لا يستر شيئاً يتعفـف في حالاته كلها(٢)،إذا أتي برزقه في الشهر يقول: "إن الذي يخـون بعدك لخائن" (٣)، وليس هذا حال من يأكل أموال الناس بالباطل.

ثانياً: إنه كان محمود الإمارة، ثقة (٤)، لم يكن لبنـي مـروان وال أحمد وأحب عند أهل المدينة منه(٥).

ثالثاً: إن الرجل كان ممن يقتد به، فقد سئل القاسم عن شيء فقال: "ما زلت أحبه حتى بلغني أن الأمير يكرهه والأميـر إذ ذاك عبـد الواحد النصرى" (٦).

رابعاً: إنه عمل على تقريب الصالحين من أصحاب عمر بـن عبـد العزيز منه، وكان لا يقطع أمراً إلا استشار فيه القاسم بن محمـد، وسالم بن عبد الله (٧).

---

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٦٨، ابن عساكر: تاريخ دمشـق ج٣٧ص٢٥٣، المزى: تهذيب الكمال ج١٠ص٤٨٢، السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ص٣٩٨.

(٢) ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٦ص٢٧٨.

(٣) المزى: تهذيب الكمال ج١٨ص٤٦٢.

(٤) ابن حبان:الثقات ج٧ص١٧٥،الذهبى:تاريخ السلام ج٧ص١٥٩.

(٥) الطبرى: تاريخ الرسل ج٧ص١٤، المـزى: تهـذيب الكمـال ج١٨ص٤٦٢.

(٦) المزى: تهذيب الكمال ج١٨ص٤٦١.

(٧) الطبرى: تاريخ الرسل ج٧ص١٤، المـزى: تهـذيب الكمـال ج١٨ص٤٦٢، ج١٩ص ٥٤٨.

خامساً:إنه ثبت أوقاف من أوقاف أصحاب رسول الله، عند أصحابها بقضائه فيها[١].

ومما سبق يتبن لنا أن عزل عبد الواحد النصرى عن إمرة المدينة لم يكن بسبب رغبته فى عزل القاضى، و إنما يرجع ذلك – فى رأى – إلى تولى الخلافة هشام بن عبد الملك، وتوليته لخاله إبراهيم بن هشام المخزومى[٢].

وعندما أراد بعض أشراف قريش سؤال الوالى بغية إيقاعه فى الحرج، استعان على رد كيدهم بالقاضى، كما فعل عبد الواحد النصرى الذى قال: لسعد بن إبراهيم" أغن عنى قومك ... فخرجا عن القرشيين فقالا ليس بالرجل بأس"[٣].

و على الرغم من أن الأمير كان يعين القاضى، و فى إمكانه أن يعزله فى أى وقت شاء، ويولى غيره، إلا أننا نرى عثمان بن حيان لا يفعل ذلك مع أبى بكر بن حزم، وإنما يكن له العداوة والبغضاء ليعاقبه، ولا أدل على ذلك من أن ابن حزم حينما استأذن من عثمان فى أن ينام في غد، ولا يجلس للناس للقضاء ليقوم ليلة إحدى وعشرين، أذن له، وأسرّ فى نفسه الإيقاع به. فلما ذكر له أحد جلسائه أن هذا من ابن حزم رياء، قال:" قد رأيت ذلك، ولست لأبى إن أرسلت إليه غدوة ولم أجده جالساً لأجلدنه مائة، ولأحلقن رأسه ولحيته"[٤].

---

(١) المزى: تهذيب الكمال ج١٨ص٤٦١.

(٢) الطبرى: تاريخ الرسل ج٧ص٢٩، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٦ص٢٧٨.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٣٧ص٢٥١.

(٤) الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ ص٥٠٥.

و فى المقابل نجد ابن حزم يعفو عمن أساء إليه من الأمراء، بل ولا يدخر جهداً فى مساعدتهم، فعندما عزل عبد الرحمن الضحاك، وأغرم أربعين ألف دينار، وأتى به إلَى دار ابن حزم، نهى ابن حزم قومه أن يعرضوا له بحرف يكرهه، وأمر له بالغرامة، وغير ذلك مما يحتاج إليه، فكان "ابن الضحاك بعد ذكر ما صنع بابن حزم، وما صنع به ابن حزم يتعجب"(١).

ثالثاً: علاقة القضاة ببعضهم:

لم يضن القضاة على بعضهم البعض بالرأى والمشورة، أو بتعليمهم القضاء، وبيان ما خفيى منه، فها هو عمر بن خلدة الزرقي، يأتى أبا هريرة -ط- يستشيره فى مسألة، فيجيبه عليها(٢). وكان أبو بكر حزم "يتعلم القضاء من أبان بن عثمان"، وكان أبان قد علم أشياء من القضاء من أبيه عثمان بن عفان -ط- (٣)، وفى حين كان محمد بن عِمْرَان يرسل إلى أبى طوالة، ، فيسأله عن شيء من أمر القضاء؛ فيقول له:" إذَا أردت هَذَا فعليك بالغدوات(٤)، فإن للقلب جماماً بالغدوات"(٥).

---

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص ص١٤٢، ١٤٣.

(٢) الإمام الشافعي: مسند الشافعي ج١ص٣٢٩، الحديث رقم ١٥٢٧، المزى: تهذيب الكمال ج٢١ص٣٣٠، السخاوى: التحفة اللطيفة ج٢ص٣٣٧.

(٣) الفسوى: المعرفة ج١ص٦٤٣، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ٦٦ص٤٤.

(٤) الغَدُ: أصله غَدْوٌ حَذَفوا الواوَ بلا عِوَض، والغُدْوَة ما بين صلاة الغَدَاةِ، وطُلوع الشَّمْس، والجمع الغَدَوات، الرازى: مختار الصحاح، مادة:(غ د ا).

(٥) وكيع: أخبار القضاة ج١ص ١٤٧.

رابعاً: علاقتهم بالعلماء:

تميزت العلاقات بين القضاة- فى مراحلهم العمريه- وأقرانهم من العلماء وطلاب العلم، سواءً فى المدينة أم فى خارجها، بالاحترام المتبادل، و الحرص على الاستفادة من معارفهم، ومشاركتهم فى أفراحهم وآلمهم، فقد أدرك ابن حزم، عبد الرحمن بن أبي الزناد[1]؛ وهو واقف على باب دار زيد بن ثابت[2]؛ فَقَالَ له:" يا بني أو يا عَبْد الرحمن، ولد لك ؟ قلت: نعم؛ قال: بارك الله لك؛ ابن كم أنت ؟ قلت: ابن سبع عشرة سنة"[3].

وعندما مرض سعد بن إبراهيم، دخل عليه جماعة من القراء يعودونه، منهم ابن هرمز[4]، -الذى اغرورقت عيناه- فقال

---

(١) عبد الرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان، المدني، ولد فى(سنة١٠٠هـ)، وهو من حفاظ الحديث، قال ابن أبى حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به،ولي خراج المدينة، وزار بغداد فتوفي فيها (سنة١٧٤هـ)، ابن سعد: الطبقات ج٥ص ص٤٩٨، ٥٠٠،الرازى: الجرح ج٥ص٢٥٢، الخطيب: تاريخ بغداد ج١٠ص ص٢٢٧، ٢٣٠.

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى، كاتب النبى -ﷺ- وتولى جمع القرآن فى صحف لأبى بكر، ثم تولى كتابة مصحف عثمان، وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا حج، توفى بالمدينة (سنة ٤٥هـ)،ابن خياط: الطبقات ص١٥٨، ابن قتيبة: المعارف ص ٢٩٠، الذهبى: تاريخ الإسلام ج٤ ص ص ٥٣، ٥٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٥ص٥٠٠، وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٧٦.

(٤) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، مولى محمد بن ربيعة، روى عن أبىهريرة،وأبىسعيد، قال ابن سعد:كان ثقة كثير الحديث، وكان يكتب المصاحف،مات بالإسكندرية (سنة١١٧هـ)،ابن سعد: الطبقات ج٥ص٣٤٠، الرازى: الجرح ج٥ص٩٧، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٦ص٢٦٠.

له:" سعد ما يبكيك، قال: والله لكأني بقائلة غداً تقول: واسعداد للحق ولا سعد، قال: أما والله لئن قلت ذلك ما أخذني في الله لومة لائم منذ أربعين سنة، ثم قال سعد: أليس الله يعلم أنكم أحب خلقه إلي يعني القراء"[1].

وكان بعض القضاة يحرص على ألا يفارق مجلسه الفقهاء كعمر بن خلدة، الذى كان يجلس مع خارجة بن زيد، وربيعة بن عبدالرحمن، "فكانا يقولان له: آذيتنا وأبرمتنا، فيقول: لا تقيمان من عندكما دعاني أتحدث معكما، فإذا جاء الخصمان تحول إليهما، ثم عاد"[2]، ليكمل حديثه معهما.

كذلك حرص بعض القضاة على نشر العلم، و الأخذ بأيدى النابهين من الطلاب، وتعليمهم حديث رسول الله- ﷺ- كأبى سلمة بن عبد الرحمن، الذى كان" يأتي المكتب، فيأخذ بيد الغلام، فينطلق به إلى بيته فيملي عليه الحديث فيكتبه، وفى رواية ثانية: فيملي عليه الحديث ويكتب له[3].

وإذا كان بعض القضاة حرص على تدوين أحاديثه لطلاب العلم، فإن بعضهم كان يكره ذلك، مثل يحيى بن سعيد، فلما عرض عليه تلاميذه كتب علمه "استنكر، كثرته لأنه لم يكن له كتاب. فكان يجحده، حتى قيل له: نعرض عليك، فما عرفت أجزته، وما لم تعرف رددته، قال: فعرفه كله"[4].

---

(١) الذهبى: سير أعلام ج٥ص٤٢٠، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج١٠ص ٢٤٥.

(٢) السخاوى: التحفة اللطيفة ج٣ص٣٣٧.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٩ص ٣٠٧، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٥ص٢٩٢.

(٤) المزى: تهذيب الكمال ج٣١ص٣٥٤، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٩ص٢٤٠.

كما كان بعض القضاة لا يترفع عن الأخذ بيد ولده والذهاب به إلى مشاهير العلماء للأخذ عنهم، فكانوا يكرمونهم، فقد دخل" إبراهيم بن سعد، على ابن شهاب فرفعه وأكرمه، ثم أقبل على القوم، فقال: إن سعدا أوصاني بابنه وسعد سعد"(١).

وكان القضاة يجلون من تلقوا عنهم العلم، فلا يحدثون بين أيديهم، مثل يحيى بن سعيد الذى يقول عنه عبيد الله(٢): كان يحيى" يحدثنا فيسيح علينا مثل اللؤلؤ، ويشير عبيد الله بيديه إحداهما على الأخرى، قال عبيد الله: فإذا طلع ربيعة قطع يحيى حديثه إجلالا لربيعة وإعظاما له"(٣)، وعندما خرج يحيى بن سعيد إلى إفريقية في ميراث له، طلب له ربيعة البريد، فركبه إلى إفريقية، فلما قدم بذلك الميراث، وهو خمسمائة دينار، شطره ربيعة. وقال:"والله ما غيبت منها ديناراً إلا ما أنفقناه في الطريق"(٤).

كذلك كان لبعض القضاة رحلات علمية مختلفة، ومن هؤلاء أبوسلمة بن عبد الرحمن، الذى قدم البصرة "في إمارة بشر بن

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٠ص٢٢١، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٢ص٢٧٣.

(٢) عبيد الله بن عمر بن حفص القرشي العدوى، كان من سادات أهل المدينة، وأشراف قريش فضلاً، وعلماً، وعبادة، ، قال ابن معين: عبيد الله عن القاسم عن عائشة الذهب المشبك بالدر، توفى (سنة١٤٤هـ)، وقيل: (سنة ١٤٥ هـ)، البخارى: التاريخ الكبيرج٥ص ٣٩٥،ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٧ص٣٥.

(٣) الفسوى: المعرفة ج١ص٦٤٨، المزى: تهذيب الكمال ج٣ص ص٣٥٣، ٣٥٤.

(٤) المزى: تهذيب الكمال ج٣١ص٣٥٧، الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٥ص٤٧٣.

مروان[1] وكان رجلا صبيحا كأن وجهه دينار هرقلي"[2]، وروى عن الشعبي[3] قال: "قدم أبوسلمة الكوفة، فكان يمشي بيني وبين رجل، فسئل عن أعلم من بقي – من أهل المدينة-، فتمنع ساعة، ثم قال: رجل بينكما"[4].

في حين كان بعض القضاة لا يحدث بالمدينة كسعد بن إبراهيم، "فلذلك لم يكتب عنه أهل المدينة ، ومالك لم يكتب عنه، وإنما سمع منه شعبة[5]، وسفيان[6] عنه

---

(١) بشر بن مروان بن الحكم القرشي الاموي، كان سمحا جوادا،ولي إمرة العراقين لأخيه، وهو أول أمير مات بالبصرة، توفي سنة (سنة ٧٥ هـ)،الزبيري: نسب قريش ص١٦٠،ابن كثير: البداية ج٩ص٨.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٩ص٢٩٨.

(٣) عامر بن شراحيل بن عبد، علامة العصر، يكنى بأبى عمرو الهمداني، ثم الشعبي ، من جلة التابعين، يضرب المثل بحفظه، وكان قد أدرك خمسين ومائة من الصحابة،توفى (سنة١٠٥هـ)، ابن قتيبة: المعارف ص ص٤٤٩ ،٤٥١ ،ابن حبان: مشاهير ج١ص١٠١، الخطيب: تاريخ بغداد ج١٢ص ص٢٢٢، ٢٢٨.

(٤) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٤ص٢٩٠.

(٥) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى، واسطى الأصل، بصرى الدار،أمير المؤمنين فى الحديث،ولد(سنة٨٣هـ)وسمع قتادة، ويونس بن عبيد، وعنه، والأعمش، وابن المبارك، توفى(سنة ١٦٠هـ)، ابن سعد: الطبقات ج٧ص ص٣١٤،٣١٥،ابن قتيبة: المعارف ص٥٠١،الخطيب:تاريخ بغداد ج٩ص ص٢٥٥، ٢٦٦.

(٦) سفيان بن سعيد أبوعبد الله الثورى الكوفى،ولد فى (سنة٩٦هـ)، وقيل: (٩٧هـ)، روى العلم عن خلق كثير، وروى عنه خلق كثير، وله من الكتب، كتاب الجامع الكبير، قال يحيى القطان: "ما رأيت أحفظ من الثورى، وهو فوق مالك فى كل شئ"، توفى

بواسط[1]، وسمع منه ابن عيينة[2] بمكة شيئا يسيراً"[3]، وكان سعد ممن حمل عنه العلم الكثير، وكان يكتب عمن هو أصغر منه، يقول شعبة عنه:"كتب عني سعيد بن إبراهيم، وما ترك من حديثي شيئاً إلاَّ كتبه"[4]، وكان شعبة إذا حدث عن سعد، يقول:"حدثني حبيبي سعد بن إبراهيم"[5].

كذلك بلغت شهرة علماء المدينة الآفاق، فكانوا يكتبون إليهم يسألونهم، ومن هؤلاء يحيى ابن سعيد قاضى المدينة[6].

كذلك نلاحظ أن بعض القضاة – فى طلبه العلم– كان يكثر من مخالفة شيخه، فربما حرم بسبب ذلك علماً كثيراً، مثل ما حدث

(سنة ١٦١هـ)،الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٧ ص ص ٢٢٩، ٢٧٩، ابن العماد: شذرات الذهب ج١ ص ص ٢٥٠، ٢٥١.

(١) واسط: في عدة مواضع أعظمها وأشهرها التى بالعراق، سميت بهذا الاسم لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، وتسمى مدينة الحجاج، شرع في عمارتها في (سنة ٨٤هـ)وفرغ منها في (سنة ٨٦ هـ)، ياقوت: معجم البلدان ج٥ص ص٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) سفيان بن عيينة، يكنى بأبى محمد ولد (سنة١٠٧هـ) وطلب الحديث وهو صغير، ولقى الكبار، وحمل عنهم علما جما، وإليه انتهى علو الإسناد،ورحل إليه من البلاد، قال الشافعى:"لولا مالك، وابن عيينة لذهب علم الحجاز" توفى (سنة ١٩٨هـ)، البخارى: التاريخ ج٤ ص ٩٤، ابن العماد: شذرات الذهب ج١ ص ص ٣٥٤، ٣٥٥.

(٣) الرازى:الجرح ج٤ص٧٩،المزى:تهذيب الكمال ج١٠ص٢٤٤.

(٤) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٥١.

(٥) الذهبى:سير أعلام النبلاء ج٥ص٤١٩، ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٣ص٢٧٦.

(٦) المزى: تهذيب الكمال ج٣١ص٣٥٣.

من أبى سلمة بن عبد الرحمن مع عبد الله بن عباس[١][٢]. كذلك أدت الموعظة سعد بن إبراهيم للإمام مالك- أحد تلاميذه - إلى عدم الأخذ عنه ، وقيل: إنما ترك الرواية عنه لأنه تكلم فى نسبه، فكان لا يروى عنه[٣]، و لكن يبدوا لى أن سبب ترك الإمام مالك الرواية عن سعد بن إبراهيم، أنه لم يكن يحدث بالمدينة، فكيف يروى عنه الإمام مالك[٤]؟ .

وفى المقابل نجد بعض الطلاب يتقبل نصيحة شيخه بصدر رحب،بل ويثنى عليه خيراً،وفى ذلك يقول ربيعة بن أبى عبدالرحمن:" قال لي بن خلدة - وكان نعم القاضي - : يا ربيعة أراك تفتي الناس فإذا جاءك الرجل يسألك فلا تكن همتك أن تخرجه مما وقع فيه، ولتكن همتك أن تتخلص مما سألك عنه"[٥]، وعندما مات خارجة بن زيد، حرص أبوبكر بن حزم على أن يصلى عليه[٦].

---

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، حبر الأمة ، وترجمان القرآن، ولد فى (الشعب) قبل خروج بنى هاشم منه، وقيل: عام الهجرة، دعا له النبى-ﷺ- وكان مقدما عند الخلفاء، ولى إمارة الحج لعثمان، وعلى، وولى لعلى البصرة، وتوفى(سنة ٦٨هـ)، ابن خياط:الطبقات ص٢٩، ابن عبد البر: الاستيعاب ج٣ ص ٩٣٥، ٩٣٦.

(٢) الفسوى: المعرفة ج١ص٥٥٢، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٩ص٢٩٣، ابن حجر: تهذيب ج١٠ص٢٣١.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٣ص ص٢٧٦، ٢٧٧، السخاوى: التحفة اللطيفة ج٢ص٣٨٤.

(٤)لم يرو الإمام مالك إلا عن ستة من غير أهل المدينة،لقيهم إما فى مكة أو فى المدينة،أحمد أمين: ضحى الإسلام ج١ص٢١٣، طبع الهيئة العامة للكتاب،سلسلة مكتبة الأسرة،القاهرة،سنة١٩٩٨م.

(٥)الفسوى:المعرفةج١ص٥٥٦،المزى تهذيب الكمال ج٢١ص٣٢٩.

(٦) ابن سعد: الطبقات ج٥ص٢١٦.

خامساً: علاقتهم بالشعراء:

الإنسان عبد الإحسان، سواءً أكان بالمال أم بالكلمة الطيبة. والمعاملة الحسنة، والتى أثرت فى الشعراء فجعلتهم يمدحون القضاة، ويعددون مناقبهم، فعلى سبيل المثال، كان طلحة بن عبد الله، سخياً جواداً، قدم الفرزدق[1] المدينة ومدحه. بقوله:

يا طلح أنت أخو الندى وعقيده .·. إن الندى إن مات طلح ماتا[2]

وكان قد بدأ به فأعطاه ألف دينار، ثم أتى غيره من قريش، فمدحهم، فأعطوه مثله، مخافة أن يقصروا عن ذلك، فيتعرضون للسان الفرزدق، فكان يقال:" أتعب طلحة الناس"[3]. وفى رواية أخرى:إنه أمره أن يختار مائة من الإبل – من سوق المدينة- عشرة، تلو مثلها، ثم دفعهم إليه. فقال قصيدته السابقة[4].وعندما بلغ الفرزدق موت طلحة بن عبد الله، حزن عليه حزناً شديدا[5]. و جعل يقول:" يا أهل المدينة، كيف تركتم طلحة يموت؟"[6].

وامتدح رجل سعد بن إبراهيم بقوله:

---

(١) همام بن غالب بن صعصعة التميمى البصرى، يكنى بأبى فراس، روى عن على، وابن عمر، لقب بالفرزدق لغلظة وقصرة، وهو من الطبقة الأولى من شعراء الإسلام، مدح يزيد بن معاوية، ومن بعده من الأمويين، توفى (سنة ١١١هـ)،ابن قتيبة:الشعر والشعراء ج١ ص ٤٧١، ٤٨٢،ابن الجوزى:المنتظم ج٧ ص ص ١٤٩، ١٥٢.

(٢) البيت من بحر: الكامل، لم أجده في ديوان الفرزدق.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٥ص١٩٣، الصفدى: الوافى ج١٦ ص٤٣٨.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٥ص٥١.

(٥) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٢٥ص٥٢.

(٦) الأصفهانى: الأغانى ج١٠ص٣٠٧.

أقلي علي اللوم يا أم حاطب ∴ فظني بسعد خير ظن بغائب

فظني به في كل أمر حضرته ∴ إذا ما التقينا خير ظن بصاحب

أبوه حواري النبي وجده ∴ أبو أمه سعد[1] رئيس المناقب

رمى في سبيل الله أول من رمى ∴ بسهم عظيم الأجر والذكر صائب

تفرع الأعراق يرمين بالفتى ∴ ذرى الأكرمين من لؤي بن غالب[2][3]

و مدح موسى شهوات، سعيد بن سليمان، فقال:

من سره الحكم صرفاً لامزاج له ∴ من القضاة وعدل غير مغموز

فليأت دار سعيد الخير إن بها ∴ أمضى على الحق من سيف ابن جرموز[4][5]

---

(١) سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب، من السابقين، وهو أول من رمى بسهم فى الإسلام، شهد بدراً، وجمع له رسول الله -ﷺ- أبوية يوم أحد ، وولاه عمر وعثمان-ﷺ- الكوفة، وكانت وفاته (سنة ٥٥ هـ)، ومناقبه كثيرة ، ابن خياط : الطبقات ص ٤٥، ابن عساكر : تاريخ دمشق ج ٢٠ ص ص ٣٧٣، ٢٨٠.

(٢) الأبيات من بحر: الطويل.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٠ص٢١٩، الصفدى: الوافى ج١٥ص١٤٩.

(٤) عمير بن جرموز المجاشعي،وقيل: عمرو بن جرموز، قاتل الزبير، قتله تقرباً إلى علىٍّ، فبشره بالنار لما جاء يستأذن عليه، فندم وسقط في يده، أمر إنساناً أن يطرحه عليه زج، فطرحه عليه فقتله،بعد أن رفض مصعب بن الزبير- فى ولايته على العراق- أن يقتص منه، الذهبى: تاريخ الإسلام ج٥ص٤٩٩،ابن خلكان:وفيات الأعيان ج٣ص١٩.

(٥)وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٦٨، الأصفهانى: الأغانى ج٣ص٣٥٦.

وكان سعد بن إبراهيم، قد ولي شرطة المدينة، واشتد على السفهاء والشعراء والمغنين، ولحق موسى شهوات بعض ذلك منه. وكان قبيح الوجه، فقال موسى يهجوه:

قل لسعد وجه العجوز لقد كن ∴ ت لما قد أوتيت سعداً مخيلاً

إن تكن ظالماً جهولاً فقد كا ∴ ن أبوك الأدنى ظلوماً جهولاً[1]

وقضى أبو بكر بن عبد الرحمن ، على موسى شهوات بقضية، فقال موسى يهجوه:

يقلب كفء الضّبّ كفّاً كأنّها ∴ كفينة ضبّ بين حليا وشعر

وجدتك فهّا في القضاء مخلّطا ∴ فقدتك من قاض ومن متآمر

فدع عنك يا سيد به ذات رجّة ∴ أذى النّاس لا تحشرهم ثم تحشر[2]

وكان أبو بكر بن حزم، جلد الأحوص في الخنث، وطاف به، وغربه إلى دهلك في محمل عريانا، فهجاه الأحوص، بقوله:

لا ترثين لحزميٍّ رأيت به ∴ ضراً ولو سقط الحزمي في النار

الناخسين بمروانٍ بذي خشبٍ ∴ والمقحمين على عثمان في الدار[3]

وكان مصعب بن عبد الرحمن، وممن اشترك مع ابن الزبير فى الدفاع عن الكعبة ، وكان لا يخفي جرح سيفه ، ويعرف قتلاه

---

(١) الأصفهانى: الأغانى ج٣ص٣٥٦، ابن عساكر:تاريخ دمشق ج٢٠ص٢٠٦.

(٢)وكيع: أخبار القضاة ج١ص ص١٧١ ،١٧٢، الأصفهانى: الأغانى ج٣ص ص٣٥٥، ٣٥٦.

(٣) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٣٨، السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ص٥١.

من بين القتلى ، فأصابه سهماً ، فقتله ؛ فرثاه رجل من جذام[1]، فقال:

لله عيناً من رأى مثل مصعب ∴ أعف وأقضى بالكتاب وأفهما

وقالوا: أصابت مصعباً بعض نبلهم ∴ فعز علينا من أصيب وعزما

وشد أبو بكر لذا الركن شدة ∴ أبت للحصين أن يطاع فيغرما

مشد امرئ لم يدخل الذل قلبه ∴ ولم يك أعمى من هدى الله أبكما[2]

وكان مصعب بن عبد الرحمن، على شرطة المدينة، في إمارة مروان بن الحكم، فاشتد على أهلها، وكان قبله هرجوا: يقتل بعضهم بعضاً، فقال فيه: ابن قيس الرقيات[3]:

حال دون الهوى ودو ∴ ن سرى الليل مصعب

وسياط على أك ∴ ف الرجال تقلب[4،5]

---

(١) جُذام: هو جُذام بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّة بن أدد، فولد جُذام حَرَاما وحِشْما، منهما تفرقت جذام، وهم من قبائل اليمن، ابن قتيبة: المعارف ص ص١٠١، ١٠٢، ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٣ ص٣٥٠.

(٢) الزبيرى: نسب قريش ص٢٦٩.

(٣) عبيد الله بن قيس الرقيات العامري، وقيل: اسمه عبد الله، أحد الشعراء المجودين، شاعر قريش في العصر الاموي، ولقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن تسمى رقية، وكان انقطاعه إلى آل الزبير فمدح مصعبا، وهجا عبد الملك،توفى(سنة٧٢هـ)،و قيل: نحو(سنة ٨٥ هـ)،االذهبى:تاريخ الإسلام ج٥ص ص٤٧٩، ٤٨٠، ابن كثير: البداية ج٨ص٣٣٣،الزركلى:الأعلام م٤ص١٩٦.

(٤) الأبيات من بحر:مجزوء الخفيف.

(٥) الزبيرى: نسب قريش ص٢٦٨، ابن قتيبة: المعارف ص٢٣٨.

و قَالَ: موسى شهوات[1]- أيضاً- يهجو سعد بْن إبراهيم.

هلال بَـن يحيـى غـرّة لا خفـا بهـا ∴ على النّاس في عسر الزّمان وفي اليسر

وسـعد بْـن إبـراهيم ظفـر موسّـخ ∴ متى يستريح الناس من وسخ الظّفر[2]

سادساً: علاقتهم بالعامة:

ربطت العلاقات الطيبة بين القضاة والعامة، فكـانوا محـل رضاهم، وموضع آمالهم، سواءً كانوا فى منصبهم، أم فى خارجها، وآية ذلك أن عبد الله بن نوفل"رضيه أهـل المدينـة حتـى عـزل عنهم"[3]، وكان طلحة بن عبد الله، وخارجة بن زيد بن ثابت، فـي زمانهما، فى خدمة أهل المدينة،يستفتيونهما، وينتهي الناس إلـى قولهما، ويقسمان المواريث بين أهلها من الدور والنخيل والأموال، ويكتبان الوثائق للناس، بدون مقابل[4].

وكان طلحة بن عبد الله إذا كان عنـده مـال فـتح بابـه، وغشيه الناس، وأصحابه، فأطعم وأجاز وحمل، وإذا لم يكن عنـده شيء أغلق بابه فلم يأته أحد، فقال له بعض أهله:"ما في الدنيا شر من أصحابك، يأتونك إذا كان عندك شيء، وإذا لم يكن لم يـأتوك. فقال: ما في الدنيا خير من هؤلاء، لو أتونا عند العسرة أردنـا أن

(١) وقيل: الأبيات للحـزين الـدئلي،وكيع: أخبـار القضـاة ج١ ص١٦٣.
(٢) وكيع: أخبار القضاة ج١ ص١٦٣.
(٣) وكيع:أخبار القضاة ج١ص١١٤.
(٤) الزبيرى:نسب قريش ص٢٧٣، ابن عسـاكر: تـاريخ دمشـق ج٢٥ص٤٠، السخاوى: التحفة اللطيفة ج١ص٤٧٢.

نتكلف لهم، فإذا أمسكوا حتى يأتينا شيء فهو معروف منهم وإحسان"[1].

ودخل طلحة بن عبد الله السوق فاشتر جمل بثمانين ديناراً من صاحبه، وانقلب به إلى المنزل لينقده ثمنه، فوجد جلساءه قد وضع الغداء بينهم، فقال لصاحب الجمل: اجلس فكل، فأبى، وقال: أعطني حقي،فأبى طلحة أن يعطيه حقه أو يأكل، فانصرف فقال له بعضهم: تعرف هذا، قال: لا، قال :هذا النجاشي الحارثي، فرده ورد عليه جمله، وأعطاه الثمانين ديناراً، فقال له النجاشي:" بأبي أنت وأمي ما عوتب عتيق خيل قط إلا أعتب قبل أن يبرح، فقال الناس: هذا الكلام خير من الشعر"[2].

وكان أبو بكر بن عبد الرحمن سخياً كريماً[3]، بينما كان سعد بن إبراهيم لا يفطر -في أغلب الأحيان- حتى يرسل إلى مساكين فيأكلون معه[4].

وفى بعض الأحيان كانت العلاقة تسوء بين القاضى وبعض الناس، فيسعى للإيقاع به عند الأمير مصوراً له عبادة القاضى على أنها نوع من الرياء، كما حدث من أيوب بن سلمة مع أبى بكر بن حزم فى مجلس عثمان بن حيان[5].

---

(١) ابن سعد: الطبقات ج٥ص١٩٣.
(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٥ص٥٠.
(٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج٤ص٤١٦.
(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٠ص٢١٢.
(٥) الطبرى: تاريخ الرسل ج٦ص٥٠٥.

سابعاً:علاقتهم بأبنائهم وأهليهم:

لم تشر المصادر-التى رجعت إليها-إلا إلى نتف يسيرة فى هذا الجانب ، جاءت فى صورة وصايا ونصائح للأهل والأبناء، فعندما حضرت أبا طوالة الوفاة جمع بنيه، وقال لهم: "يا بني اتقوا الله، فإن لم تتقوه فوالله ما أبالي ما صنع بكم"(١).

ويوصى أبو بكر بن حزم، ابنه عبد الله بقوله: "إنى أراك تحب الحديث، وتجالس أهله، فلا تستقبل صدر حديث إذا سمعت عجزه استدل بأعجازها على صدورها"(٢).

وكان نوفل بن مساحق إذا دخل على امرأته صمت وإذا خرج من عندها تكلم،" فرأته يوماً كذلك، فقالت: أما عندي فتطرق. وأما عند الناس فتنطق قال: لأنى أدق عن جليلك، وتجلين عن دقيقي"(٣).

وأما محمد بن عمران، فقد كان رجلاً مصلحاً لماله، فنسب إلَى البخل، فبلغه ما يقول الناس فقال:"إنى والله ما أجمد في الحق، ولا أذوب في الباطل"(٤).

---

(١) وكيع: أخبار القضاة ج١ص١٤٨، ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢٩ص٣٣٠.

(٢) المزى: تهذيب الكمال ج٣٣ص١٤٢.

(٣) الجاحظ:البيان والتبيين ج٢ص١٦١، تحقيق/ فوزي عطوي، ط/١، دار صعب، بيروت، سنة١٩٦٨م.

(٤) الزبيرى: نسب قريش ص ص٢٨٤، ٢٨٥، ابن قتيبة: المعارف ص٢٣٢.

الخاتمة

الحمد الله رب العالمين، الذى أسبغ علىّ نعمه ظاهرة و باطنه. ومَنَّ على بالانتهاء من هذا البحث الذى تناول جانباً مهماً من جوانب الحضارة الإسلامية، يتعلق بمنصب من أرفع المناصب بعد الخلافة، وهو منصب القضاء، وفى بقعة من اشرف بقاع الأرض مدينة رسول الله -ﷺ-،وفى عصر من أزهى عصور الإسلام ألا وهو العصر الأموى ، والذى تبين من خلاله.

أن شروط تعيين القضاة كانت واضحة فى أذهان الخلفاء والولاة، ولذلك حرصوا على اختيار أهل العلم والفضل والعفاف والمشهورين بالعدالة، بيد أن فترة بقاء القاضى فى منصبة كان تتبع فى -الغالب- بقاء الوالى، ولذلك كان يتبع عزل الوالى عزل القاضى، وإن كان هذا لايمنع من أن بعض الولاة كان يقر القاضى السابق على ولايته فى منصبه، بل ويجلس للقضاء بنفسه مع وجود القاضى- فى بعض الأحيان- خاصة وأن الخلفاء لم يتدخلوا فى تعين القضاة إلا فى أحوال نادرة، ومرجع ذلك إلى أن الوالى كانت ولايته عامة، من ثم كان اختصاص القاضى يزداد تبعا لانشغال الخلفاء والولاة بأمور الحكم والسياسة، بالإضافة إلى كفاءة القاضى ومنزلته فى المجتمع ولذلك اشتهرت بعض الأسر سواءً من القريشيين والأنصار بمنصب القضاء، وحرصاً على توفير الحياة الكريمة للقضاة فقد فرضت الدولة لهم رواتب من بيت المال تغنيهم، إلا أن كثيراً من القضاة كان يترفع عن قبوله ويحتسب الأجر عند الله.

وقد اتخذ قضاة العصر الأموى من ساحة مسجد رسول الله- ﷺ- مجلساً للفصل بين الخصوم، يساعدهم بعض رجال الشرطة لحفظ الأمن وتأديب الباغى، ومساعدة القاضى فى إثبات التهم أو

نفيها، بالإضافة إلى الكتاب الذين يقومون بتدوين الأحكام لتكون مرجعاً للقاضى ولمن يأت بعده، فإذا ما عرضت على القاضى قضية، نظر هل يجد فيها حكماً منصوصاً عليه فى كتاب الله عز وجل، لم ينسخ؟ فإن وجده عمل به، وإن لم يجد؟ نظر فى سنة رسول الله-ﷺ - فإن لم يجد؟ أو لم يعرف؟ سئل أصحاب رسول الله-ﷺ- الموجودين فى عصره، و بعد عصرهم كان يقضى بما أجمع عليه الصحابة، فإن لم يجد فى الإجماع اجتهد رأيه و قضى به، ولذلك كانت الأحكام يخالف بعضها بعضاً فى الأمصار المختلفة، لأن المجتهدين لم يكونوا على رأى واحد، ولم تلتفت الدولة إلى التفكير فيما يجمع كلمة المجتهدين على شئ يقضى به قضاتهم. فقد كان بعض قضاة المدينة يقضى باليمين مع الشاهد، وبعضهم يقدم عمل أهل المدينة، و إجماعهم- فى مسائل الاجتهاد- على الأحاديث الصحيحة التى تتعارض معه، وبعضهم يقل الوكالة من الخصم وهو حاضر المصر لا علة به، كما تعددت القضايا التى نظر فيها هؤلاء القضاة فشملت الحدود، والمواريث،أو التفريق بين الزوجين، وكذلك النظر فى الصدقات.

وقد تمتع القضاة بمكانة سامية، ومنزلة عالية لم يتمع بها صاحب أى وظيفة أخرى، فلا شرف فى الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء، ولذلك عهد إليهم الخلفاء والولاة بالعديد من المناصب -غير القضاء- مثل الولاية على المدينة، أو نيابتها فى حالة غياب الأمير أو عزله، وكذلك الإمارة على الحج، والإفتاء فى الموسم،والإمارة على الشرطة، وجمع الزكاة، وقيادة الجيوش.

وكما كان للقضاة مكانة سامية فى المجتمع، كانت لهم هيبة عالية فى النفوس، ورهبة فى القلوب، ولذلك كان لهؤلاء القضاة آراء فى مجتمعهم، ونقد لما يظهر فيه من سلبيات، فى الفينة بعد

الفينة، سواءً فيما يتعلق بالعبادات أم المعاملات، ويعملون على إصلاحها، فضلاً عن أن الحياة وزخرفها، والمناصب بعظمتها، لم تشغلهم عن القيام بحق الله عليهم، فحرصوا على أداء الفرائض فكان نهارهم صيام وليلهم قيام، وألسنتهم لا تفتر عن ذكر الله، وقراءة القرآن الكريم.

فإذا ما نظرنا فى علاقات القضاة بفئات المجتمع، فنجد أنها علاقات متشعبة، سوءً بالخلفاء أم الأمراء، وأن تلك العلاقات لم تكن تسير على وتيرة واحدة، وإنما كان يعتريها الفتور، والشد والجذب أحياناً، حسب تغير الأحوال، وما تكنه الصدور، فمصعب بن عبد الرحمن يرفض شفاعة الخليفة معاوية بن أبى سفيان، ويقبلها من مروان بن الحكم، فى أمر الرجل اعتدى عليه، بينما الخليفة الوليد يستمع إلى وشاية الأحوص بابن حزم ويأمر بعزلة، وكذلك يتربص به عبد الرحمن الضحاك، حتى يضربه، فلما عزل وولى ابن حزم عفا عنه ولم يتعرض له بسوء، كذلك تبين أن عزل عبد الواحد النصرى عن إمرة المدينة لم يكن بسبب رغبته فى عزل القاضى، و إنما يرجع ذلك إلى تولى الخلافة هشام بن عبد الملك، وتوليته لخاله إبراهيم بن هشام المخزومى.

أما عن علاقة القضاة- فى مراحلهم العمريه- بأقرانهم من العلماء وطلاب العلم، سواءً فى المدينة أم فى خارجها، فقد تميزت بالاحترام المتبادل، والحرص على الاستفادة من معارفهم، فى حين نجد الشعراء يقصدونهم بالمدح، وذكر مناقبهم ومناقب آبائهم وأجدادهم، وإن كان هذا لم يمنع بعضهم من هجاء بعض القضاه، لأنه لحقه منه أذى-فى نظره- لشدة القاضى فى الحق، بينما نجد القضاة محل رضا العامة، وموضع آمالهم، سواءً كانوا فى

منصبهم، أم فى خارجه، يمدون إليهم يد العون والإحسان، ليساعدونهم بالرأى والمشورة.

وبعد فالله أسال أن يتقبل هذا العمل، وأن يتجاوز عما فيه من الزلل، أنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

الباحث
على حسن أحمد حسن

المصادر و المراجع

١ - القرآن الكريم

أولاً : المصادر :

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشيبانى الجزرى (ت ٦٣٠هـ).

٢- أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، مطابع الشعب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٠م.

الأصفهانى : أبو الفرج على بن الحسين بن محمد الأصفهانى (ت٣٥٦هـ).

٣ - الأغانى، تحقيق/سمير جابر، ط/٢، دار الفكر، بيروت(د.ت).

البخارى : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفى (ت٢٥٦هـ).

٤- التاريخ الصغير، تحقيق/محمود إبراهيم زايد،ط/١،دار المعرفة، بيروت،سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥- التاريخ الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).

البكرى : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى (ت ٤٨٧هـ).

٦- معجم ما استعجم تحقيق د/ جمال طلبه ، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٨م.

التميمى : أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام (ت٣٣٣هـ).

٧- المحن ، تحقيق د/ يحيى وهيب، ط/٢، دار الغرب الإسلامى، بيروت، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ابن الجوزى: أبوالفرج عبدالرحمن بن على بن محمد (ت٥٩٧هـ).

٨-سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، تحقيق / نعيم زرزور،ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٩- المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، تحقيق د/ محمد عبد القادر وآخر،ط/١، دار الكتب العلمية،بيروت سنة١٤٢١هـ/١٩٩٢م.
الحاكم النيسابورى : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدوية (ت ٤٠٥هـ).
١٠- المستدرك على الصحيحين فى الحديث، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.(د.ت).
ابن حبان:أبوحاتممحمد بنأحمد بن حبان التميمىالبستى(٣٥٤هـ).
١١-الثقات تحقيق/السيد شرف الدين أحمد، ط/١، دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٩٥هـ.
١٢-مشاهير علماء الأمصار تحقيق/مرزوق على، ط/١، دار الوفاء، المنصورة، سنة١٤١١هـ،
ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على العسقلانى (ت٨٥٢هـ).
١٣- الإصابة فى تميز الصحابة، تحقيق/ على محمد البجاوى، طبع نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).
١٤- تهذيب التهذيب مراجعة/ صدقى جميل، ط/١، دار الفكر،سنة١٤١٥هـ.
١٥-فتح البارى بشرح صحيح البخارى، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى وآخران،ط/٢، دار الريان للتراث، القاهرة، سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م
الخزاعى : أبو الحسن على بن محمد المعروف بالخزاعى (ت٧٨٩هـ).
١٦- تخريج الدلالات السمعية، تحقيق الشيخ/ أحمد بن محمد أبوسلامة، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

الخصاف:أبو بكر أحمد بن عمر بن مهير الشيباني(ت٢٦١هـ)
١٧-كتاب أدب القاضى تحقيق/ فرحات زيادة ، مطبعة الجبلاوى. القاهرة، سنة١٩٧٩م.
الخطيب البغدادى : أبو بكر أحمد بن على بن ثابت (ت ٤٦٣هـ).
١٨- تاريخ بغداد، تحقيق د/مصطفى عبد القادر،ط/١،دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٧م.
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ).
١٩-مقدمة ابن خلدون، تحقيق د/على عبد الواحد،ط/٣،دار نهضة مصر، القاهرة، سنة ١٩٧٩م.
ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر (ت ٦٨١هـ).
٢٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).
ابن خياط:أبوعمر خليفة بن خياط بن أبىهبيرة الليثى(ت٢٤٠هـ).
٢١- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د/ أكرم ضياء العمرى،ط/٢، دار طيبة، الرياض، سنة ١٩٨٥م.
٢٢- الطبقات، تحقيق د/ سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى (ت ٢٧٥هـ).
٢٣-سنن أبى داود، تحقيق/ محمد محى الدين عبد الحميد، دار الباز، مكة المكرمة ، (د.ت).
ابن أبىالدم:شهابالدين إبراهيم بنعبدالله بن عبدالمنعم الشافعى (ت٦٤٢هـ).
٢٤- كتاب أدب القضاء أو الدر المنظومات فى الأقضية والحكومات، تحقيق/محمد عبد القادر عطا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة١٤٠٧هـ/١٩٨٧م..

الذهبى : أبوعبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ).
٢٥-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د/ عمر عبدالسلام تدمرى،ط/٣، دار الكتاب العربى، بيروت، سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٢٦- سير أعلام النبلاء، تحقيق/شعيب الأرنؤوط، ط/١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٩٩٦م.
الرازى : أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن بن إدريس الرازى (ت ٣٢٧هـ).
٢٧- الجرح والتعديل، ط/١،مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، (د.ت).
الرازى : محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى (ت ٦٦٦هـ).
٢٨- مختار الصحاح، تحقيق/ محمود خاطر، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).
الزبيرى : أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى (ت ٢٣٦هـ).
٢٩- نسب قريش ، تحقيق/ إليفى بروفنسال، ط/٢، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
السخاوى : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ).
٣٠- التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٣م.
ابن سعد:أبوعبدالله محمد بن سعد بن منيع كتاب الواقدى(ت٢٣٠هـ).
٣١-الطبقات الكبرى، تحقيق د/ حمزة النشرتى وآخران،المكتبة القيمة ،القاهرة ، (د.ت).

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ).
٣٢- تاريخ الخلفاء، تحقيق/ محمد محى الدين عبد الحميد. دار الجيل، بيروت، سنة ١٩٨٨م.
الشبلى : محمد بن تقى الدين عبد الله الشبلى (ت ٧٩٦هـ).
٣٣- محاسن الوسائل فى معرفة الأوائل، تحقيق/ محمد التونجى، ط/١، دار النفائس، بيروت، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
الصفدى:صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدى (ت ٧٦٤هـ).
٣٤- الوافى بالوفيات، باعتناء س، ديدرينغ وآخر، ط/٢ ، دار صادر، بيروت. سنة ١٩٧٠ م.
الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠هـ).
٣٥- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق/ محمد أبو الفضل، ط/٤، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.
الطبرانى أبو القاسم سليمان بن أحمد الشامى (ت٣٦٠هـ)
٣٦-المعجم الكبير، تحقيق/ حمدى عبد المجيد ،ط/٢، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ١٩٨٣م.
ابن عبد البر:أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر(ت٤٦٣هـ).
٣٧- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، تحقيق/ على محمد البجاوى. ط/١، دار الجيل، بيروت، سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
ابن عساكر : أبو القاسم على بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعى (ت ٥٧١هـ).
٣٨- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق/عمر بن غلامة العمروى، ط/٤،دار الفكر. بيروت. سنة ١٩٩٥م.
ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد الحنبلى الدمشقى (ت ١٠٨٩هـ).
٣٩- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، دار الفكر، بيروت. سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

الفاسى : أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى (ت٨٣٢هـ).
٤٠- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق/ محمد حامد الفقى وآخر،ط/٢،مؤسسة الرسالة،بيروت، سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
الفراء : أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الحنبلى (ت ٤٥٨هـ).
٤١- الأحكام السلطانية،تحقيق/محمد حامد الفقى، ط/٣، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى،القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
الفسوى : أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوى (ت ٢٧٧هـ).
٤٢- المعرفة والتاريخ،تحقيق د/أكرم ضياء العمرى، ط/١،مكتبة الدار، المدينة المنورة، سنة ١٩٨٩م.
ابن قتيبة:أبومحمد عبدالله بنمسلم بن قتيبة الدينورى(ت٢٧٦هـ).
٤٣- الشعر والشعراء،تحقيق/ أحمد محمد شاكر، ط/١،دار الحديث، القاهرة، سنة ١٩٩٦م.
٤٤- المعارف، تحقيق د/ثروت عكاشة، ط/٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٢م.
القلقشندى : أبو العباس أحمد بن عبد الله القلقشندى (ت٨٢١هـ).
٤٥- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا تحقيق د/ يوسف على، ط/١،دار الفكر،دمشق سنة ١٩٨٧م.
٤٦- مآثر الأنافة فى معالم الخلافة، تحقيق/ عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى(ت ٧٧٤هـ).
٤٧-البداية والنهاية، تحقيق د/ أحمد أبو ملحم وآخرون، ط/١ دار الريان للتراث، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

المالقى:أبو الحسن عبد الله بن الحسن النباهى المالقى(توفى بعد٧٩٣هـ)
٤٨- تأريخ قضاة الأندلس، تحقيق/لجنة إحياء التراث، منشورات دار الآفاق، بيروت، سنة١٩٨٠م.
الماوردى : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى (ت ٤٥٠هـ).
٤٩- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط/١، دار الفكر، القاهرة، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
المزى : جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن (ت٧٤٢هـ).
٥٠- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، تحقيق د/ بشار عواد معروف، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦هـ).
٥١- التنبيه والأشراف، تحقيق/ عبد الله إسماعيل، طبع دار الصاوى، القاهرة، (د.ت).
مسلم: أبوالحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابورى(ت٢٦١هـ).
٥٢- صحيح مسلم، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى، ط/١، دار الحديث، القاهرة، سنة ١٩٩٧م.
ابن منظور : أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصارى (ت٧١١هـ).
٥٣- لسان العرب، تحقيق/ عبد الله على الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
النسائى : أبوعبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب بن على بن سنان بن بحر (ت ٣٠٣هـ).

٥٤- سن النسائى بشرح جلال الدين السيوطى، دار الحديث، القاهرة، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

وكيع: محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي(٣٠٦هـ)

٥٥- أخبار القضاة، تحقيق/ عبد العزيز مصطفى، ط/١،المكتبة التجارية،القاهرة، سنة١٩٤٧م.

ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى (ت٢١٨هـ).

٥٦- السيرة النبوية، تحقيق/ مصطفى السقا وآخران، ط/٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، سنة ١٣٥٥هـ/١٩٥٥م.

ياقوت : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى (ت٦٢٦هـ).

٥٧- معجم البلدان، ط/٢، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٩٥م.

ثانياً : المراجع الحديثة

أحمد شلبى : (دكتور).

٥٨- موسوعة الحضارة الإسلامية التشريع و القضاء فى الفكر الإسلامى،ط/٤،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة١٩٨٩م.

أنور العمروسى:

٥٩-التشريع والقضاء فى الإسلام، موسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية سنة١٩٨٤م.

٦٠- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين، ط/١٢ دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٩٧م.

سهام مصطفى أبو زيد:دكتورة(ت ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)

٦١-الحسبة فى مصر الإسلامية،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،سنة١٩٨٦م.

الشوكانى: محمد بن على بن محمد (ت١٢٥٥هـ).
٦٢-نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، مكتبة دار التراث. القاهرة، (د.ت).
عطية مصطفى مشرفة: (دكتور).
٦٣-القضاء فى الإسلام ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة سنة١٩٣٩م.
فتحية النبراوى: (دكتورة).
٦٤-تاريخ النظم والحضارة الإسلامية. ط/٥،دار الفكر العربى. القاهرة سنة١٩٩١م.
محمد بن عفيفى الباجورى الخضرى : (بك) (ت ١٩٢٧م).
٦٥- تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة الأموية، ط/١، دار الفكر اللبنانى، سنة١٩٩٤م.
محمود محمد زيادة: (دكتور).
٦٦- الدولة الأموية ، مطبعة دار التأليف، القاهرة ، سنة١٩٦٩م.
محمود محمد عرنوس:
٦٧- تاريخ القضاء فى الإسلام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة (د.ت).